محمد هادي

كيف تكون صداقات ناجحة



دار
المحجة
البيضاء

سلسلة فن التعامل مع الناس



كيف تكون

صداقات ناجحة

سلسلة فن التعامل مع الناس

كيف تكون صداقات ناجحة

محمد هادي

دار المحجة البيضاء

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ـــ ٢٠٠١ م



بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك ـ ص.ب : ١٤/٥٤٧٩
تلفاكس : ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـــ خليوي : ٠٣/٢٨٧١٧٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ



هذا الكتاب

لماذا يجب أن تكون لنا صداقات؟

وماذا ينفعنا الأصدقاء؟

وكيف نختبر من نريد مصادقته؟

من هم المفضلون لعقد الصداقة معهم؟

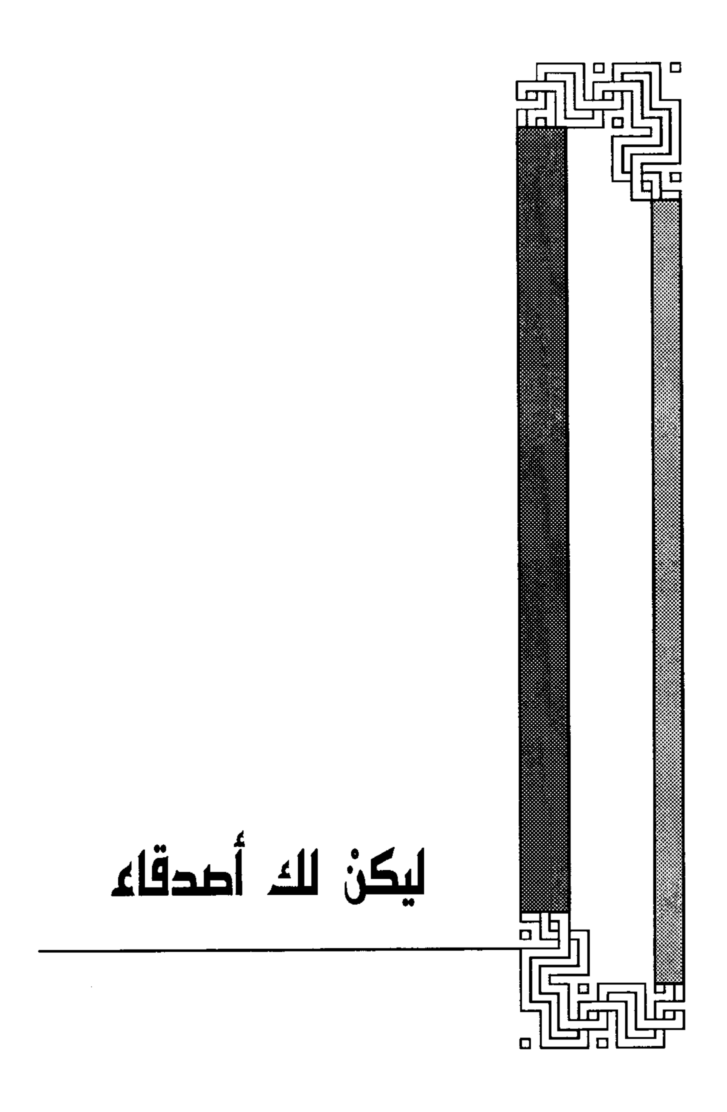
ومن هم أصدقاء السوء؟

ذلك بعض ما نحاول الإجابة عليه، في هذا الكتاب.

والله من وراء القصد.

هـ. م





ليكنْ لك أصدقاء



ـ ١ ـ

«الصديق، قبل الطريق. !»[١].

هكذا تكلّم الإمام علي عليه السلام.

فمن دون الأصدقاء كيف يستطيع المرء أن يجتاز العقبات في هذه الحياة؟

وكيف ينجح من لم يُكوّن لنفسه ـ بعدُ ـ شبكةً من العلاقات الاجتماعية، تُعينه في تحقيق أهدافه، وتساعده في حل مشاكله؟

وهل سمعتم أن أحداً استطاع أن يتسلَّق سلالم المجد، من دون أن يصعد عَلى أكتاف رفاقه؟.

بحق أقول لكم:

لن يكون نجاح بغير صداقات. ولن تكون صداقاتٌ بغير

(١) شرح نهج البلاغة ١٦/١١٣.

«فن العلاقات» ولن تكون علاقات بغير حب متبادل.

«وهل الدين إلا الحبّ»[1] كما يقول الإمام أبو جعفر عليه السلام، ألم تسمع قول الله **﴿إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فاتَّبِعُوني يُحبِبكُمُ اللَّهَ ويَغْفِرُ لَكُم ذُنُوبَكُمْ﴾**[2] أوَلم تسمع قول الله لرسوله صلى الله عليه وآله: **﴿حبَّبَ إِلَيْكُمُ الأيمانَ وزيَّنَهُ في قلوبِكُمْ﴾**[3] [4]، فكيف يمكن للحب أن ينمو، خارج المجتمع وبعيداً عن عباد الله؟

ألا يقول الحديث الشريف: «لا يُقدم المؤمنَ على اللَّهِ بعملٍ يومَ القيامة ـ بعد الفرائض ـ أحبّ إلى اللَّهِ من أَنْ يسعَ النَّاسَ بِخُلقه»[5]!.

ويقول أيضاً: «المؤمن ألفٌ مألوف، ولا خير فيمن لاَ يألف ولا يُؤلف»؟[6].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يَألفون ويُؤلفون»[7].

---

(١) المحاسن ١/ ٤٠٩/ ٩٣١.
(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.
(٣) سورة الحجرات، آية: ٧.
(٤) أصول الكافي ٢/ ١٠٠.
(٥) أصول الكافي ٢/ ١٠٠.
(٦) أصول الكافي ٢/ ١٠٦.
(٧) تحف العقول ص ٣٨.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«طوبىٰ لمن يألف الناس ويألفونه على طاعة الله»[1].

وقد جاء في الحديث: «خيرُ الناس إلفُ الناس للناس»[2].

---

(١) تحف العقول ص ١٥٥.

(٢) الصداقة والصديق ص ١٢٠.

ـ ٢ ـ

الصداقة صناعة، وفن!

وهي ـ لذلك ـ لا تهبط علينا من السماء، في لحظة مفاجئة.

إلاّ أنها ـ في نفس الوقت ـ تبدأ بنفسها، تماماً مثل الحب الذي يبدأ بالحب، فلكي تكسب الأصدقاء، لا بد أن تكسب الأصدقاء.. فالصداقة تبدأ بالصداقة، لا بغيرها.

فإذا قرّر الواحد منا أن يمتلك قلوب أكبر قدر ممكن من الناس، وبدأ يمارس هذا العمل، فسرعان ما يجد نفسه مثل واحة من الورد، تمتلأ بالفراشات، وإذا لم يقرر ذلك، فإنه سيبقى مثل بقعة رملية لا تسكنها غير الرياح السافيات.

غير أن للصداقة أرضية، لا بد من تهيئتها. وهي الالتزام بالأخلاق الفاضلة، والتمتع بالتواضع والعفو، وضبط النفس وقوة الإرادة والعطاء.

فإذا وجدت أرضية الأخلاق، يستطيع المرء أن يزرع فيها ما يشاء من الرياحين. وإلاّ فمن دون الأرضية لا يمكن أن يرسم الإنسان حتى صورة الذبابة..

ولأننا نتحدث عن صداقة قائمة على الخلق الإنساني الرفيع، فإننا نرفض كل ما يسميه البعض «صداقة» إذا كانت تعني مجرد اتصال اجتماعي، وتبادل خدمات ومنافع، حينئذ لا فرق بينها وبين صفقة تجارية يبحث فيها الفرد عن الربح لا الخسارة، وعن الأخذ لا العطاء.

وكما قال أحد العلماء: «نحن لا يمكن أبداً أن نتخذ صديقاً من رجل يبحث عنّا حين نكون قادرين على أداء خدمة له.. ثم يهملنا بعد أن يتم أداؤها..

«ولقد ترامى إلى سمعي الحديث الآتي ـ مرة من المرات ـ:

قال الزوج ـ: كوني لطيفة بنوع خاص مع أسرة السيّد (س).

فأجابت الزوجة بقولها: «لماذا؟. أنهم قوم يبعثون على الضجر إلى أبعد حد، وأنت لست في حاجة إليهم.

فقال الزوج ـ: «لا تكوني غبية.. إنني سأكون في حاجة إليه عندما يعود إلى الوزراة، وهو متأكد من هذه العودة، إن عاجلاً وإن آجلاً، وسيكون تقديره لاهتمامنا أعظم حين لا يكون في منصبه.

وافقت الزوجة على ذلك قائلة: «إنه على حق، فسوف يبدو ذلك الاهتمام من جانبنا عملاً ينطوي على مزية من المودة..».

ولقد بدا فعلاً أن ذلك الاهتمام فيه مزية من المودة، ولكنه لم يكن صداقة. وفي كل مسالك الحياة من الطبيعي أن يدوم هذا النوع من المعاملة بين الرجال الذين يمكن أن يتبادل بعضهم المنافع مع بعض.. وهناك ـ في هٰذا النوع من المعاملة ـ يكون تقدير متبادل، وخوف متبادل، والذين يتبادلون الخدمات يسجلونها تسجيلاً: «سوف أعينه سفيراً، وسوف تكف صحيفته عن مهاجمتي».

ولا شك أن مثل هذا ليس من الصداقة في شيء.. صحيح إن في الصداقة تعاوناً وعطاءًا متبادلاً، ولكن الصداقة بحد ذاتها هدف مقدس، لا وسيلة تجارية رخيصة..

قلنا إن الصداقة: صناعة...

وهذا يعني أن علينا أن «نبني» صداقاتنا في الحياة.. كما نبني أسرنا..

وقلنا: إن الصداقة فن..

وهذا يعني أن علينا أن نستعمل الذوق، والفكر، والقلب، والضمير معاً في صناعة الصداقات وتكوين الأصدقاء..

فالأصدقاء كنوز، يجب البحث عنهم، وتحمّل التعب من أجل اكتشافهم، حتى لا يختلط علينا الحجر والجوهر، فنقتني الأحجار، ونحن نظن أنّها الجواهر..

ـ ٣ ـ

الصداقة تغذي الأخلاق. وتستثمر المبادىء..

فما نؤمن به من العدل والإنصاف، والتعاون، والتواضع والإخلاص، يجب أن يترجم إلى واقع عملي في العلاقة مع الناس..

وإلاّ فكيف يتحقق ذلك من دون أن يكون لنا أكبر عدد ممكن من الأصدقاء؟.

من هنا فإن الحديث عن الأخلاق لا ينفصل عن الحديث عن الصداقة والأصدقاء. والعكس صحيح أيضاً..

ولقد كانت «أخلاق الصداقة» ـ

التي تتعلق بالتعامل فيما بين الناس ـ هي الأرضية التي بنيت عليها حياة الناس ولولاها لم يكن ممكناً ـ على الإطلاق ـ أن تبنى مدنيّة، أو تقوم حضارة..

وصدق الشاعر الذي قال:

وإنّما الأُممُ الأخلاقُ ما بقيت   فإن هُمُ ذَهبَتْ أخلاقُهمْ ذَهبوا[1]

فالمدنية الغربية مثلاً، قامت أساساً على الأرضية الأخلاقية التي دعا إليها السيد المسيح عليه السلام، وبمقدار ما هي ابتعدت عن تعاليم المسيح عليه السلام بمقدار ما انحسرت مدينتها، وتعرضت للسقوط.

إن جهاز «الراديو» الصغير الذي تشتريه أنت من أصغر دكان في العالم، وراء اختراعه، وصناعته «أرضية أخلاقية»؛ فلولا مبدأ التعاون والمشاركة، التي جعلت ألوف الأيدي تتعاون فيما بينها في صناعته لما كان بمقدورك أن تحصل عليه بهذه السهولة.

ونحن اليوم إنما نستعمل ما أنتجه الإنسان من مخترعات، وصناعات مختلفة بسبب وجود مبدأ التعاون والمشاركة لدى القائمين عليها.

هذا المبدأ الذي حوّل جهود الأفراد إلى فعاليات جماعية، وفرض مبدأ التكافل الاجتماعي، وتساوي الفرص واحترام الشخصية الإنسانية. وحقوق الملكية.. كل تلك إنَّما هي مبادىء أخلاقية دعا إليها السيد المسيح في رسالته الإلهية المقدسة.. وهي مبادىء ثابتة تصنع الحضارات في أي زمن،

---

(١) معجم لاالىء الشعر ص ٤٩.

ولا يلتزم بها أي شعب إلاّ ويرتقي في هذه الحياة..

وحينما ينهار الأساس الخلقي في التعامل بين الأفراد في أي مجتمع، فإنه سيسير نحو الهاوية، عاجلاً أو آجلاً، وسيعاني من أزمات تبتدىء ولا تنتهي.. لأن سوء الأخلاق علة أساسية لسوء التصرف.

يقول رسول الله ﷺ:

«أبىٰ الله لصاحب البدعة بالتوبة، وأبىٰ الله لصاحب الخلق السيء بالتوبة».

فقيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟

قال: أما صاحب البدعة فقد أشرب قلبه حُباً، وأما صاحب الخلق السيء فإنه إن تاب من ذنب ووقع في ذنب أعظم من الذنب الذي تاب منه[1].

وكما يصدق ذلك في الأفراد يصدق في الجماعات أيضاً. فمجتمع سيء الأخلاق، هو مجتمع محكوم عليه بالفشل.

وعلى العكس من ذلك المجتمع الملتزم بالأخلاق في شؤونه الاجتماعية والسياسية، فهو مجتمع سليم.

يقول رسول الله ﷺ: «أكثر ما تلج به أمتي الجنة: تقوى الله، وحسن الخلق»[2].

---

(١) ترتيب نوادر الراوندي ص ٢٧.

(٢) عين الحياة ٢/ ٢٨٢.

ويقول الإمام أبو عبد الله عليه السلام:

«البر وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»[1].

إذ ما هو الفارق الأساسي بين البشر، وسكان الغابات؟ أليس هو الأخلاق؟.

أليس سكان الغابات يعيشون على الأنانية، وحب الذات، والمصلحة الشخصية، بينما البشر يعيشون على أساس التعاون والثقة، والتفاني والعطاء؟

لقد جاء الأنبياء عليهم السلام بشرائع تستهدف إصلاح الناس خلقياً، وهذا هو امتيازها على شرائع البشر، التي قد يهمها بناء المدن، لا بناء الأفراد، واختراع الوسائل، لا تهذيب النفوس.

وإذا كان هناك بعض الاختلاف في شرائع الأنبياء فلأن كل نبيّ كان يُبعث نتيجة إنعدام حالة أخلاقية معينة، فالنبي «لوط» مثلاً بُعث إلى قوم كان يعصف بهم الشذوذ الجنسي. والنبي «موسى» بعث إلى قوم كانوا قد تعودوا الخضوع للظالمين. والنبي «عيسى» بعث إلى قوم كانوا قد سقطوا في عبادة المادة، وحب الشهوات.

---

(١) الكافي ٢/ ١٠٠/٨.

أمّا رسول الله ﷺ فقد جاء لتكميل كل الأخلاقيات التي جاء بها الأنبياء جميعاً، كما يقول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١].

فالأخلاق الفاضلة هي أرضية كل خير.. ولذلك فقد قال رسول الله ﷺ: «حُسنْ الخلق خلق الله الأعظم»[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «حُسْنُ الأَخلاقِ بُرهَانُ كَرَمِ الأعراقِ»[٣].

ومن هنا كان «الإصلاح الأخلاقي» هدفاً أساسياً من أهداف العبادات، فالصلاة، هي من أجل أن تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصوم، هو من أجل مخافة الله تعالى في أمور الحياة.

لقد قيل لرسول الله ﷺ إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها.

فقال: لا خير فيها، هي من أهل النار[٤].

فالصلاة التي لا تُصلح علاقة الإنسان بجيرانه، لهي صلاة فارغة من روحها. وكذلك الصوم الذي لا يدفع إلى

---

(١) المحجة البيضاء ٥/ ٨٩٠.
(٢) المحجة البيضاء ٥/ ٩٠.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٣٤٠/ ٥٢.
(٤) تنبيه الخواطر ونزهة الناظر ١/ ٩٠.

إصلاح ذات البين إن هو إلاّ مجرد جوع بلا معنى، والحج الذي لا يؤدي إلى التعامل الأخوي مع الناس هو تعب بلا ثواب.

يقول الإمام علي عليه السلام: «كم من صائم، ليس له من صومه إلا الظمأ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلاَّ السَهَرُ والعناءُ»[1].

وعلى العكس من ذلك يكون الالتزام بالأخلاق الاجتماعية شفيعاً للإنسان في الدنيا والآخرة..

فقد جاء في الحديث الشريف: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وصلّى الفجر، ثمَّ قال: «معاشر الناس أيّكم ينهض إلى ثلاثة نفر قد حَلفوا باللاّت والعزَّى ليقتلوني وقد كذبوا وربِّ الكعبة.

فأحجم النّاس وما تكلّم أحدٌ.

فقال: ما أحسب أنَّ عليَّ بن أبي طالب فيكم، فقام إليه عامر بن قتادة فقال: إنَّه وعك في هذه اللّيلة ولم يخرج يصلّي معك، أفتأذن لي أن أخبره؟».

فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: شأنك، فمضى إليه فأخبره فخرج أمير المؤمنين عليه السلام وكأنّه نشط من عقال، وعليه إزار قد عقد طرفيه على رقبته فقال: يا رسول الله ما هذا الخبر؟

---

(١) نهج البلاغة ٤/ ٣٥.

فقال: هذا رسول ربّي يخبرني عن ثلاثة نفر قد نهضوا إليَّ ليقتلوني وقد كذبوا وربِّ الكعبة.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا لهم سريّة وحدي، هوذا ألبس عليَّ ثيابي.

فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: بل هذه ثيابي وهذا درعي وهذا سيفي» فألبسه ودرّعه وعمّمه وقلّده وأركبه فرسه وخرج أمير المؤمنين عليه السلام فمكث ثلاثة أيّام لا يأتيه جبرئيل بخبره ولا خبر من الأرض فأقبلت فاطمة بالحسن والحسين عليهما السلام على وركيها تقول: أوشك أن يؤتم هذين الغلامين.

فأسبل النبيُّ صلى الله عليه وآله عينيه يبكي، ثمَّ قال: معاشر النّاس من يأتيني بخبر عليٍّ، أُبشّره بالجنّة».

وافترق النّاس في الطلب لعظيم ما رأوا بالنبي صلى الله عليه وآله وأقبل عامر بن قتادة يبشر بعليٍّ، ودخل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه أسيران ورأس وثلاثة أبعرة وثلاثة أفراس.. وهبط جبرئيل فخبّر النبيَّ صلى الله عليه وآله بما كان فيه، فقال: ـ «يا رسول الله لمّا صرت في الوادي رأيت هؤلاء ركباناً على الأباعر، فنادوني من أنت فقلت: أنا عليُّ بن أبي طالب ابن عمِّ رسول الله.

فقالوا: ما نعرف لله من رسول، سواء علينا وقعنا عليك أو على محمّد، وشدَّ عليَّ هذا المقتول، ودار بيني وبينه ضرباتٌ فضربته فقطعته ووكزته وقطعت رأسه ورميت به

وأخذت رأسه، وقال لي هذان الرَّجلان: بلغنا أنَّ محمّداً رفيقٌ شفيقٌ رحيمٌ فاحملنا إليه ولا تعجل علينا. وصاحبنا كان يعدُّ بألف فارس.

فقال النبيُّ ﷺ: قدِّم إليَّ أحدَ الرَّجلين فقدَّمه عليٌّ عليه السلام فقال ﷺ: قل لا إله إلاّ الله واشهد أنّي رسول الله.

فقال: «لنَقلُ جبل أبي قبيس أحبُّ إليَّ من أن أقول هذه الكلمة.

فقال: قدّمه يا أبا الحسن واضرب عنقه فضرب عليٌّ عليه السلام عنقه.

ثمَّ قال: قدِّم الآخر، فقُدِّم، فقال ﷺ: قل لا إله إلاَّ الله واشهد أنّي رسول الله.

فقال الرجل: «ألحقني بصاحبي».

فقال ﷺ: خذه يا أبا الحسن واضرب عنقه» فقام أمير المؤمنين عليه السلام ليضرب عنقه فهبط جبرئيل فقال: يا محمّد إنَّ ربّك يقرئك السلام ويقول لك: لا تقتله فإنّه حَسَن الخلق، سخيٌّ في قومه، فمنع النبي ﷺ علياً من أن يضرب عنقه، وأخبر الرجل بمقالة جبرئيل عن الله تعالى.

فقال الرَّجل: أهذا رسول ربّك يخبرك؟

قال ﷺ: نعم.

فقال: والله ما ملكت درهماً مع أخ لي قطّ إلاّ أنفقته، ولا كلّمت بسوء مع أخ لي، ولا قطبت وجهي في الجدب، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّك رسول الله».

فقال ﷺ: هذا ممّن جرّه حُسنُ خلقه وسخاؤه إلى جنّات النعيم[1].

إن حسنَ الخُلق والسخاء صفتان أساسيتان لحسن التعامل مع الناس وكسب الأصدقاء.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام جواباً على ذلك:

«حَسْنُ الخُلقِ يُورِثُ المحَبَّةَ ويؤكِّدُ المودَّةَ»[2].

ويقول عليه السلام: «حُسْنُ الأخلاق يُدرُّ الأرزاقَ ويُونِسُ الرِّفاقَ»[3].

ويقول عليه السلام أيضاً: «حُسْنُ الخُلْقِ أَحدُ العَطاءينِ»[4].

---

(١) الخصال ٩٥ ـ ٩٦/ ح٤١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٣٤١/ ٦١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٣٤٠/ ٥٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٣٤٠/ ٤٨.

الصداقة قضية مستعجلة

ربما يتساءل البعض:

ما دمنا نخوض صراع الحياة والموت، ونعاني من فقدان أبسط مقومات الحياة فهل يكون الحديث عن «الصداقة والأصدقاء» ضرورياً الآن؟.

أليس ذلك نوعاً من التَرَفِ؟.

وألا يمكن تأجيل أمثال هذه الأحاديث، إلى ما بعد حسم المعركة لصالح قوى الخير؟.

والجواب.. لا!.

صحيح أن الأخيار يخوضون صراعاً مريراً مع الأشرار، إلاّ أن هذا الصراع ليس على فراغ، بل هو في حقيقته صراع على نوعية العلاقة التي يريد الخيِّرون إقامتها، والطريقة التي يريدون السير فيها، بينما يريد الأعداء، نوعية أخرى، وطريقة تختلف عن ذلك..

ثم كيف يمكن أن نخوض الصراع مع العدو، من دون أن تكون علاقاتنا الداخلية متينة، تتحمل الصعاب؟.

وكيف يمكن أن تكون الأمة «عزيزة» في مواجهة العدوان، و «شديدة» على الكفار، إن لم تكن «ذليلة» مع المؤمنين، «رحيمة» في العلاقات الاجتماعية معهم؟

إنّ من لا يعرف، كيف يصادق، لا يعرف كيف يعادي أيضاً

ومن لا يعرف «كيف يحب» لن يعرف «كيف يبغض»

ومن لا يستطيع أن يتعرف على الأصدقاء، لا يستطيع أن يكتشف الأعداء.

إن مخزون الحب في الإنسان يجب أن يزداد، ويجب أن يُستثمر. . كما هو الحال في مخزون البُغض، ومن أحب من دون أن يبغض، يكون مخطئاً في تقديره تماماً كمن يبغض من غير أن يحب. .

ولنفترض مجموعة مقاتلة، تخوض القتال مع الأعداء، ألا يجب أن تكون علاقاتهم ـ فيما بينهم ـ في أقصى درجات الحب والإيثار؟

وهكذا فإنه حتى المقاتلين هم بحاجة إلى «الصداقة والأصدقاء». . وهذا ما يرفعهم إلى مصاف الثوار، بدل أن يهبط بهم إلى مستوىٰ القتلة.

ولكن كيف نقيّم صداقاتنا؟

ومن نختارهم أصدقاء في الحياة؟

ذلك ما نعرفه في الفصل التالي.



أحسنْ اختيار الأصدقاء



قال الله في القرآن الكريم:

﴿الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين﴾[1].

وقال الإمام علي عليه السلام:

ـ «أعجَزْ النَّاس، من عَجَزَ عن اكتسابِ الأخوان، وأعجزُ منه، من ضيّع منَ ظفَرَ به منهم»[2].

وقال الإمام الصاق عليه السلام:

«اكثروا من الأصدقاء، فإنهم ينفعون في الدنيا والآخرة، أما الدنيا فحوائج يقومون بها؛ وأما الآخرة فقولُ أهل جهنَّم: **﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾**[3].



---

(١) سورة الزخرف، آية: ٦٧.

(٢) نهج البلاغة/ قصار الحكم ١٢.

(٣) سورة الشعراء، آية: ١٠١.

- ١ -

إن «الصداقة» ليست مسألة جانبية في الحياة لنتركها للصدف..

بل هي من القضايا الملحة التي ترتبط بشكل أو بآخر بمصير المرء ومصائر الآخرين.

أمّا خطورتها فلأن تأثير الصديق على صديقه، ليس تأثيراً فجائياً ملموساً ليتعرف فيه بسهولة على موقع الخطأ والصواب، بل هو تأثير تدريجي يومي، وغير ظاهر.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«إياكم ومجالسة الملوك وأبناء الدنيا، ففي ذلك ذهاب دينكم، ويعقبكم نفاقاً، وذلك داء دوىً لا شفاء له، ويورث قساوة القلب، ويسلبكم الخشوع، وعليكم بالأشكال من الناس والأوساط منهم فعندهم تجدون معادن الجواهر»[1].

ويقول لقمان لابنه:

«يا بُني.. صاحب العلماء، واقرب منهم، وجالسهم وزرهم في بيوتهم، فلعلك تشبههم، فتكون معهم، واجلس مع صلحائهم فربما أصابهم الله برحمة فتدخل فيها وإن كنت طالحاً، وأبعد عن الأشرار والسفهاء، فربما أصابهم الله

(١) مستدرك الوسائل ٨/ ٣٣٧/ ٩٥٩٥.

بعذاب فيصيبك معهم»[1].

ومن هنا فإن الذين ينحرفون بسبب الصداقات، لا يشعرون بالانحراف إلا بعد فوات الأوان، أو لا يشعرون به إطلاقاً. وهنا مكمن الخطر، لأن الانحراف الذي لا يشعر به صاحبه أخطر من أي انحراف آخر..

إن الإنسان قد يشعر بألم في مكان ما من جسمه فيسعى لمعالجته، ولكن حينما يكون المرض من غير ألم فإن خطورته تكون أكثر، حيث يظل ينخر في الجسم حتى يقضي عليه تماماً..

وإذا أخذنا بعين الاعتبار حقيقتين هامتين وهما: قابلية الإنسان للتأثر بالأجواء التي يوضع فيها، وخاصة تأثره بالأصدقاء.

وإن تأثير الصديق ليس مرئياً، ولا فجائياً. إذا عرفنا ذلك فإننا نعرف حينئذ خطورة «الصداقة» في حياة الإنسان، والمجتمع، وضرورة الاهتمام بها من قبل الأفراد والجماعات.



- ٢ -

إن الصداقة قضية اختيار.

ولا يجوز ترك اختيار الأصدقاء للصدفة. رغم أن كثيرين يفعلون ذلك، حيث يولد أحدهم في مكان معين، وبحكم

---

(١) أعلام الدين ص ٢٧٢.

الموقع الجغرافي، يصبح صديقاً لمجموعة من الناس.

إن الصدفة قد تكون جيدة في بعض الأحيان، ولكنها لا تكون كذلك في أكثر الأحيان.

ولهذا فإن على الإنسان أن يبادر هو إلى اختيار أصدقائه، حسب المقاييس الصحيحة، قبل أن تختار له الصدف أصدقاءه حسب مقاييس خاطئة.

يقول رسول الله ﷺ:

«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[1].

وقال: «لا خير لك في صحبة من لا يرىٰ لك مثل ما يرىٰ لنفسه»[2].

وروي أن سليمان عليه السلام قال: لا تحكموا علىٰ رجلٍ بشيء حتىٰ تنظروا إلى من يخادن، فإنما يعرف الرجل بأشكاله وأقرانه، وينسب إلى أصحابه وأخدانه[3].

وقال الإمام الحسن عليه السلام:

«مثل الصاحب مثل الرقعة في القميص، فلينظر امرؤ بأي شيء يَرْقَعُهُ»[4].

---

(١) احياء علوم الدين ٣/ ١٥٥.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٢١٤.

(٣) أعلام الدين ص ١٨٣.

(٤) الصداقة والصديق ص ٣٠١.

وقال الإمام الحسنعليه السلام: إن المؤمن شعبة من المؤمن، يحزن لحزنه، ويفرح لفرحه، وهو مرآة أخيه، إنْ رأىٰ منه ما لا يعجبه قوَّمه وسدَّده، ووجهه، وحاطه في السر والعلانية، إنَّ لك من خليطك نصيباً، وإن لك نصيباً من ذكر مَنْ آخيت، فاختاروا الإخوان والأصحاب والمجالس»[1].

ويقول الإمام الحسنعليه السلام:

«لا تؤاخ أحداً حتى تعرف موراده ومصادره فإذا استنبطت الخبرة ورضيت العشرة فآخه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة»[2].

ويقول الإمام عليعليه السلام لابنه الإمام الحسنعليه السلام: «بني.. سل عن الرفيق قبل الطريق»[3] مؤكداً على أن أية مهمة، وإن كانت كالسفر، لا بد أن يسبقها البحث عن الصديق الجيد. فقبل كل شيء إسأل نفسك هذا السؤال.. «من هو صديقي في هذه الرحلة»؟ ولا تترك الأمر للصدفة، فإنها قد تضر بك.

ولعلك لا تشعر بأن الصدفة هي التي اختارت لك صديقك، وأنه «قرين السوء» إلا بعد فوات الأوان، ومن هنا فقد حذر القرآن الكريم، من السقوط في شرك «قرناء السوء» قائلاً:

---

(١) الصداقة والصديق ص ٣٠١.
(٢) تحف العقول ص ١٦٨.
(٣) شرح نهج البلاغة ١٦/ ١١٣.

«وَمَنْ يَعشُ عن ذكرِ الرحمن نقّيضْ لَهُ شيطاناً فهو له قَرينٌ»[1].

ويقول، على لسان من تخلّص من قرين السوء ودخل الجنة: **﴿قال قائلٌ منهم إني كَانَ لي قَرِينٌ * يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ المُصدِّقِينَ * أءِذَا مِتنَا. وكُنَّا تُراباً. وَعِظَاماً أَءِنّا لَمدينُونَ * قَالَ هَل أنتُم مُطّلِعُونَ * فَاطّلع فَرآهُ في سَواءِ الجَحِيم * قَالَ تاللَّهِ إن كِدْتَ لَتُردينِ * ولولا نِعمَةُ ربّي لكُنتُ مِنَ المُحضَرينَ﴾**[2].

ويقول: **﴿وَقَيّضنا لَهُم قُرناءَ فزَيّنوا لَهُم مّا بَينَ أَيدِيهِم، وما خَلَفهُم وحقَّ عَلَيهِمُ القَولُ في أُمَمٍ قَد خَلَت من قَبلِهِم مّن الجِنّ والإِنسِ إِنهُم كانُوا خاسِرينَ﴾**[3].

❀ ❀ ❀

- ٣ -

بعض الناس لا يتخذ لنفسه صديقاً، ويؤثر الوحدة في الحياة على الصداقة مع الناس، ولربما يفتخر بذلك قائلاً: «ليس لي أصدقاء على الإطلاق».

وبعض الناس، على العكس من ذلك، يتخذ من عملية الصداقة بحد ذاتها «هواية» فيتخذ أصدقاء من دون أي

---

(١) سورة الزخرف، آية: ٣٦.

(٢) سورة الصافات، آية: ٥١ ـ ٥٧.

(٣) سورة فصلت، آية: ٢٥.

حساب، ومن غير أن يكون لأصدقائه اتجاه واحد، وهدف مشترك.

وكلا الطريقتين خاطئة.

فليس من الصحيح أن يتخذ الإنسان أصدقاء بلا حساب، كما ليس من الصحيح أن يعيش الإنسان وحده، منعزلاً عن الناس، لأن العزلة حالة حيوانية، وليس من مبادىء الإسلام أن يعتزل الإنسان زملاءه في الخلق، فإذا وَجَدَ الطيِّبين منهم فلا بد أن يتخذهم أصدقاء، وإذا لم يوجد إلاّ الناس السيؤون فلا بد أن يتعامل مع كل واحد منهم كإنسان، ويزاملهم كبشر من دون أن يكون «معهم» في مواقفهم الخاطئة.. وهذا معنى الحديث القائل «كن في الناس ولا تكن معهم».

فلنفترض أنك وضعت في مجتمع سيء، فإن عليك أن تبقى فيه لكي تغيّره، لا أن تعتزله كلية، ولا أن تنخرط معه في مساوئه.

وقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ قوله: «خياركم، أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون، ويُؤلفون»[1].

وهكذا فإن الإسلام يدعو إلى التآلف، وهو الجمع بين الناس، وكسبهم، والصداقة معهم، إلا أنه يطلب أن يكون

(١) تحف العقول ص ٣٨.

ذلك بالشكل الصحيح، وضمن الإطار المناسب.

فكما أنه ليس من الصحيح أن لا تمتلك سيارة أو بيتاً، إلا أنه يجب أن يكون ذلك من الحلال، لا الحرام، كذلك ليس من الصحيح أن لا تمتلك أصدقاء، ولكن يجب أن يكون اختيار الأصدقاء مناسباً، لا عشوائياً.

ومن هنا فليس صحيحاً ما يقوله البعض: إن فلاناً أراد أن يكسبني كصديق، ولكنني هربت منه.. لأن المؤمن، كما يكسب الأصدقاء فهو يُكسَب إليهم أيضاً.

فالمؤمن يألف الناس، ويجمعهم إليه، كما أنه يجتمع مع الناس ويألف إليهم.. فهو مألوف، وأليف في آن واحد، ولا خير فيمن ليس كذلك.

لأن الجانب الاجتماعي في الإنسان هو الجانب الأهم الذي من أجله خلقه الله تعالى.

يقول رسول الله ﷺ:

«إن المؤمن يسكن إلى المؤمن، كما يسكن قلب الظمآن إلى الماء البارد»[1].

وقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام:

«لكل شيء شيءٌ يستريح إليه، وإن المؤمن يستريح إلى

(١) ترتيب نوادر الراوندي ص ١٤٤.

أخيه المؤمن كما يستريح الطير إلى شكله»[1].

وقد ورد في حديث آخر (ودّ المؤمن للمؤمن من أعظم شعب الإيمان)[2].

فإذا كانت للإيمان شعب كثيرة، ومن ضمنها شعبة العبادات، فإن شعبة «المحبة» من أفضلها.

ويكفي في ضرورة الصداقة، إن الله العظيم قد اتخذ لنفسه صديقاً وهو النبي إبراهيم، حيث يقول القرآن الكريم: ﴿**واتَّخذَ اللَّهُ إبراهِيمَ خَلِيلاً**﴾[3].



- ٤ -

وهنا لا بد أن نتنساءل: إذا كان لا بد من وجود أساس للصداقة يجمع بين الصديقين، فما هو ذلك الأساس؟

والجواب: أنه الحب في الله:

يقول رسول الله ﷺ:

«من أحب في الله وأبغض في الله، وأعطىٰ في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله»[4].

---

(١) عدة الداعي ص ١٨٧، الاختصاص للمفيد ص ٣٠.
(٢) الكافي ٢/ ١٢٥/ ٣.
(٣) سورة النساء، آية: ١٢٥.
(٤) الكافي ٢/ ١٢٥/ ٣.

ويقول ﷺ:

«ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد فائدة الإسلام، مثل أخ يستفيده في الله»[1].

وقد وردعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قوله:

«من أوثق عرىٰ الإيمان أن تحبَّ في الله وتبغض في الله، وتعطي في الله، وتمنع في الله»[2].

ويقول عليه السلام أيضاً:

«من أحبَّ لله وأبغض لله وأعطىٰ لله فهو ممن كمل إيمانه»[3].

وفي حديث آخر يقول عليه السلام:

«كل من لم يحب على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له»[4].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«خير الإخوان من لم تكن علىٰ الدنيا أُخُوَّتَه»[5].

(١) أمالي الطوسي ص ٤٦ حلية المتقين، ص ٤٧١.
(٢) الكافي ٢/ ١٢٥/ ٢.
(٣) الكافي ٢/ ١٢٤/ ١.
(٤) الكافي ٢/ ١٢٧/ ١٦.
(٥) غرر الحكم/ ٥٠٣٠.

ويقول أيضاً:

«علىٰ قدر التواخي في الله تخلص المحبة»[1].

ويقول عليه السلام:

«إخوان الدين أبقىٰ مودةً»[2].

وهكذا فإن الصداقة، يجب أن لا تكون من أجل «المصالح» وإنما من أجل «المبادیء».

إن المسلم حينما يحب في الله، ويبغض في الله يتحول إلى ضمير في أمته.. وتكون صداقته حينئذ صداقة حميمة، لا تشوبها الشوائب، ولا يَغيرها تبدل المصالح.

يقول الإمام علي عليه السلام «خالطوا الناس مخالطة إن مِتُّمْ معها بَكوْا عليكم، وإنْ غِبتُمْ حَنُّوا إليكُم»[3].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أحبّكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً الموطؤن أكنافاً الّذين يألفون ويُؤلفون، وإنَّ أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة، والمفرِّقون بين الأحزاب، الملتمسون للبرءآء العثرات»[4].

وقد ورد في الأحاديث، إن التنافر بين صديقين إذا جاء

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٢٨/ ٢٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٦٧/ ١٤٠٥.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٣٥٦/ ٣٣.

(٤) المحجة البيضاء ٥/ ٢٧٥.

بسبب أمر شخصي أو مصلحي، واستمر لأكثر من ثلاثة أيام، فإن الله لا يقبل عبادة من كان سبباً في ذلك.. لأن العبادة التي لا تنهى الإنسان عن فحشاء التفرقة هي بلا محتوى.. فهي إذن غير مقبولة عند الله.

يقول رسول الله ﷺ:

«لا تقاطعوا، ولا تَدابَروا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمُسلِمٍ أن يَهجُرَ أخاه فوق ثلاثٍ»[1].

ثم إن أكثر خطابات القرآن، تأتي في صورة الجمع لا المفرد، ففي الصلاة مثلاً يخاطب المصلي ربّه في صيغة الجمع. ويدعو لنفسه ولغيره، ويستعيذ بالله في صيغة الجمع قائلاً: **﴿إِياكَ نَعْبِدُ وإيّاكَ نَسْتَعِينُ * اْهدِنا الصِّراطَ المستقِيمَ * صِراط الَّذِينَ أنعَمتَ عَليهِم غَيرِ المغضُوبِ عليهم ولا الضَّالِّينَ﴾**[2].

وعندما ينهي صلاته فإنّه ينهيها بالسلام على نفسه وعلى عباد الله الصالحين.

كل ذلك إيحاء إلى المسلم، بالحياة الجماعية، والابتعاد عن العزلة عن الناس.

---

(١) مسند الحميدي ٢/ ٣٠٢/ ١٢٣٧.

(٢) سورة الحمد، آية: ٥ ـ ٧.

ولهذا أيضاً أوجب الإسلام الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام. إذا لم يجد المسلم في دار الكفر الوسط الاجتماعي الذي يحافظ فيه على دينه وعلاقاته الإسلامية، لأن ملازمة أصدقاء كافرين يجرون المرء إلى الكفر محرمة شرعاً.. تماماً كما أن التفرقة بين الإخوان المسلمين محرمة شرعاً ومن يفعل ذلك فهو من أبغض الناس إلىٰ الله.

يقول رسول الله ﷺ:

«ألا أنبئكم بشراركم؟

قالوا: بلىٰ يا رسول الله.

قال: المشّاؤون بالنميمة المفرِّقون بين الأَحبة»[1].

وهكذا فإنّ «لقاء الإخوان مغنم جسيم، وإن قلوا»[2] - كما يقول الإمام علي عليه السلام -: - **وأي إنسان لا يلتقي بالإخوان فهو إنسان عاجز.**

يقول الإمام علي عليه السلام: (أعجز الناس، من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه، من ضيع من ظفر به منهم)[3].

فالعاجز، ليس من عجز عن كسب المال، ولا عن الأولاد، بل من أعطاه الله عقلاً وعاطفة، وزوده بوسائل كسب

(١) حلية المتقين ص ٥٠٧.
(٢) مصادقة الإخوان ص ٣٤.
(٣) نهج البلاغة/ قصار الحكم ١٢، التذكرة الحمدونية ٤/ ٣٦٤/ ٩٣٠.

الإخوان، ولكنه لم يفعل ذلك، فعاش فريداً، ومات وحيداً.

واعجز من ذلك من حصل على بعض الأصدقاء، ولكنه خسرهم الواحد تلو الآخر بسبب سوء معاملته لهم.



ـ ٥ ـ

ثم إن الإنسان يبقي واحداً، ما دام يعيش وحده، بينما يصبح «جماعة» حينما يصادق الآخرين، وهذا ما يعنيه الإمام علي عليه السلام حينما يقول «المرء كثير بإخوانه»[١]، فكلما كان له إخوان أكثر، كان هو أيضاً أكثر.

قال الشاعر:

وما المرءُ إلا بأعوانِهِ كما تقبضُ الكفُّ بالمعصم
ولا خيرَ في الكفِّ مقطوعةً ولا خير في الساعدِ الأجذم[٢]

إن من يمتلك أصدقاء حوله، يتحول إلى أكثر من إنسان، ولهذا يقال عن أصدقائه، إنهم من جماعة فلان.. وبذلك يصبح الواحد جماعة.

ومن جهة أخرى فإن للإنسان حياة واحدة، ما دام وحيداً فإذا اتخذ لنفسه أصدقاء، أصبحت له أكثر من حياة.. فمثلاً

(١) مستدرك الوسائل ٩/ ٧٠/ ١٠٢٣٠.

(٢) التذكرة الحمدونية ٤/ ٣٥٧/ ٩٠٢.

حينما تجلس لتحتسي (الشاي) فإنك تشعر بلذة الشاي مرة واحدة.. أما حينما تقيم حفلاً ويجتمع حولك مجموعة من الأصدقاء فإنك مع كل رشفة شاي من قبلهم تشعر بلذة المشاركة معهم، وتتكون لديك لذّات كثيرة.

يقول أحدهم: لا أُنْسَ لمن لا إخوان له[1].

ولأن الحياة الحقيقية، هي في أن يعيش الإنسان مع جماعة، ويشاركهم لذاتهم وأفراحهم، فإن أقسى حياة يواجهها الإنسان هي عقوبة السجن الإنفرادي حيث يواجه العزلة عن الجماعة.

فالسجين لا يشعر بالضيق، لأنه يمنع من الأكل والشرب فحسبْ، ولا لأنه يواجه الإهانة، والتعذيب، بل يشعر بالضيق في الدرجة الأولى لأنه يبتعد عن أحبائِهِ وأحبته.

وقد جاء في الشعر المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام قوله:

يقولون: إن الموت صعب على الفتى «مفارقة الأحباب والله أصعب»

ومن هنا قيل: «عدوٌّ واحد كثير وألف صديق قليل».

وروي أن داود قال لابنه سليمان عليه السلام: لا تستقلن أن يكون لك عدو واحد، ولا تستكثرن أن يكون لك ألف صديق»[2].

---

(١) التذكرة الحمدونية ٤/٣٧٦/ ٩٩٥.

(٢) اعلام الدين ص ١٨٣.

فالعدو الواحد، مهما كان صغيراً، فهو قادر على أن ينهي حياة الإنسان، بينما ألف صديق قليل.

إن على الإنسان أن يكون له أصدقاء في كل مدينة، وقرية، وأن يكون له شاهد محبة في كل قلب.

قد تقول: وماذا نعمل بكثرة الأصدقاء؟ أليس يشغلنا هؤلاء كثيراً؟.

والجواب: إذا أحسنت اختيار الأصدقاء، فإنهم لا يشغلونك بالتوافه.. وهكذا تكون الكثرة نافعة وليست ضارة.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«تكثّر من الإخوان ما اسطعت أنهم كنوز إذا ما استنجدوا وظهورُ
وليس كثيراً ألف خلٍ وصاحبٍ وإن عدواً واحداً لكثيرُ»[1]

ويقول المثل: «أكثِرْ من الصديق فإنك على العدو قادر»[2].

كما ورد عن لقمان في وصيّته لابنه قوله:

«يا بني استكثر من الأصدقاء، ولا تأمن من الأعداء فإن الغل في صدورهم مثل الماء تحت الرماد»[3].

---

(١) التذكرة الحمدونية ١/ ٢٦٥.
(٢) مجمع المدائني ٢/ ١٥٣/ ٣٠٨٥.
(٣) الاختصاص للمفيد ص ٣٣٨.

إننا لو نفترض أن كل صديق جيد يساوي ديناراً واحداً، فهل كثرة الأصدقاء حينئذ مضرة أم نافعة؟

أن أصدقاءك كنوزك في الحياة، فأكثر من كنوزك فيها.



- ٦ -

والأصدقاء بالإضافة إلى ما يوفرونه من لذات الحياة وألوان سعادتها، فهمّ سلالم المجد للإنسان.

يقول الإمام الصادقعليه السلام: «من لم يرغب في الاستكثار من الإخوان ابتلي بالخسران»[١].

إن الله خلق الإنسان محتاجاً إلى أخيه الإنسان، وما دام كل واحد منا يحتاج إلى من يساعده، فهل تكون زيادة المساعدين والمعاونين غير نافعة؟.

إنك حينما تسافر إلى مدينة وتريد البقاء فيها لمدة قصيرة فإنك لا بد أن تبحث عن صديق يساعدك في بعض مهامك.

لا تقل ماذا أفعل بالصديق، في مدينة لا أرغب في البقاء فيها إلا فترة قصيرة، لأنك يمكن أن تحتاج إلى من ينقذك من «ورطة» أو يقدم لك خدمة كبيرة.

---

(١) تحف العقول ص ٢٣٥.

إذ قد تقع في مشكلة وأنت في بلد غريب فتحتاج إلى من يحلها لك. أو لا أقل يعرفك على المدينة، ويساعدك في الاستمتاع بها.

ولقد ذكر لي أحد الإخوان قصته، حينما ذهب إلى مدينة يحكمها طاغوت، وكان الأخ هذا مطلوباً من قبل السلطات هناك.

قال: ذهبت إلى هناك متنكراً، وذهبت إلى منزل لكي أسكن فيه بعد أن أعطاني صاحبه مفتاح الباب الخارجي، فوقفت أحاول فتح الباب، ولكن تبين أن صاحب المنزل أخطأ في اختيار المفتاح المناسب، وفيما أنا أحاول فتح الباب شك الجيران في أمري، وظنوا أنني سارق فاخبروا عنّي الشرطة، الذين سرعان ما حاصروني، وأخذوا يجرّون بي إلى مركزهم، فامتلكني الخوف من اكتشاف أمري، والقبض عليَّ حيث كنت مطلوباً للسلطات الحاكمة هناك، ولربما ـ لو تعرفوا عليَّ ـ لتعرضت لحكم الإعدام..

ولكن شاءت الأقدار أن يمر علينا ـ وأنا في يد الشرطة ـ صديق كنت قد تعرفت عليه، وبعد أن بادرني بالسلام، أخذ يدافع عني، نافياً تهمة السرقة قائلاً: إن هذا رجل صادق وأمين، وأنا أعرفه جيداً، وأنه إنما جاء إلى ذلك المنزل بعلم صاحبه، ولكنه أعطاه المفتاح خطأ».

واطمأن الشرطة إلى كلامه، وأطلقوني.

وأضاف صاحبي: ولولا معرفتي بذلك الصديق، ودفاعه عني في الوقت المناسب لربما كنت الآن في خبر كان».

وهكذا فإن الأصدقاء يفتحون الآفاق، ويَحلّون المشاكل، ويزيدون من متعة الإنسان في الحياة، ويتحولون إلى سلالم المجد، ووسائل التقدم ويصنعون النجاح للإنسان.

❀ ❀ ❀

- ٧ -

جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام «اكثروا من الأصدقاء، فإنهم ينفعون في الدنيا والآخرة، أما الدنيا فحوائج يقومون بها، وأما الآخرة فأهل جهنم قالوا: (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم)[(١)][(٢)].

إن البعض منا قد يتساءل: ماذا ينفعني الأصدقاء؟ هل سأحصل منهم على الملايين؟

والجواب: من قال لك بأن الملايين هي منتهىٰ ما يحتاجه الإنسان؟ لعل أبرة صغيرة، أو قلم حبر، أو رقم تليفون، أو شربة ماء هي - حين الحاجة إليها - أهم بكثير من تلك الملايين. وهل سيتردد أصدقاؤك في إعطائك مثل هذه الحاجات البسيطة؟

(١) مصادقة الإخوان ص ٤٦.

(٢) سورة الشعراء، آية: ١٠١.

إذن.. فالأصدقاء ينفعون في الدنيا، حيث يقضون حوائجنا.

أما في الآخرة، فإنهم يشفعون لنا، ومن هنا فإن أهل النار يشتكون من أنهم لا يملكون أصدقاء قائلين: «فما لنا من شافعين ولا صديق حميم»[1].

إن الأصدقاء يشفعون لأصدقائهم يوم القيامة.. فلو أن رجلاً كان في الدنيا صديقاً لأربعين مؤمناً، أفليست كلمة هؤلاء تنفعه يوم القيامة! أو على الأقل تخفف عنه الحساب؟

يقول رسول الله ﷺ: اكثروا من الإخوان فإن ربَّكم حَييٌّ كريمُ، يستحي أن يعذِّبَ عبده بين إخوانه[2].

وقد جاء في الروايات أن رجلاً في زمن النبي موسى عليه السلام مات، وكانت بينه وبين ربه معاصي كثيرة، ولكن الناس لم يكونوا يعلمون بها، فشهد أربعون مؤمناً عند دفنه، بأنهم لا يعلمون منه إلاّ خيراً، فقال الله تعالى: «وأنا أيضاً أغض الطرف عن كل شر رأيته منه، ما دام هؤلاء شهدوا له بذلك».

ولهذا فإن من الأمور التي اعتاد عليها بعض المؤمنين هو سعيهم للحصول علىٰ شهادة أربعين مؤمناً على أكفانهم، بأنهم لم يروا منه إلاّ خيراً.

---

(١) سورة الشعراء، آية: ١٠١.

(٢) التذكرة الحمدونية ٤/ ٣٥٠/ ١٨١.

وعلى جنازة الميت يقرأ المصلون في الصلاة هذا الدعاء: «اللهم أنا لا نعلم منه إلا خيراً، وأنت أعلم به منا، اللهم إن كان محسناً فزد في إحسانه، وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه واغفر له، اللهم اجعله عندك في أعلىٰ عليين؟»[1].

إن هذه الشهادة تنفع الميت عند الحساب، وتخفف عنه المؤاخذة.

ترى من يشهد لك، عند موتك بهذه الشهادة، إن لم تكسب أصدقاءك في الحياة الدنيا؟

ومن يشفع لك يوم القيامة، إن لم تكسب شفعاءك الآن؟.



- ٨ -

إن الصداقة - بالإضافة إلى أنها تنفع في الدنيا - فهي قضية دينية مرتبطة بالدين، ولربما يعاتب الإنسان على تركها يوم القيامة.

يقول رسول الله ﷺ: «ما أحدث الله تعالىٰ أخاً في الله بين المؤمنين، إلاّ أحدث لكل واحد منهما درجة في الجنة»[2].

---

(١) المقنع ص ٦٥.

(٢) اعلام الدين ص ٢٨٠.

فالصداقة هي حاجة روحية للإنسان، جعلها الإسلام عبادة، يثاب عليها مع كل صديق بدرجة يكسبها في الجنة.

وكما يعتبر الإسلام الحاجات الطبيعية للإنسان. كالأكل والشرب والنوم بمثابة العبادة، إذا كانت في مكانها الصحيح، وضمن قناتها المناسبة، كذلك يعتبر اتخاذ الأصدقاء بمثابة العبادة.

يقول الإمام الصادقعليه السلام: «من حب الرجل دينه، حبّه لإخوانه»[1]. وهذا أمر طبيعي، لأنك حينما تحب دينك، فيجب أن تحب أيضاً من يجمعك وإيّاهُ، هذا الدين.

ويقول الإمام الرضاعليه السلام: «من استفاد أخاً في الله، فقد استفاد بيتاً في الجنة»[2].

فكل أخ تكسبه يعطيك الله تعالى به مشعراً في جنة الخلد.

ـ ويقول الإمام الباقرعليه السلام: «من استفاد أخاً في الله، على إيمان الله، ووفاء بإخائه، طالباً لمرضاة الله، فقد استفاد شعاعاً من نور الله، وأماناً من عذاب الله، وحجة يفلح بها وعزّاً باقياً وذكراً نامياً، لأن المؤمن من الله عز وجلّ لا موصول ولا مفصول.

(١) الاختصاص للمفيد ص ٣١.
(٢) أمالي الطوسي ص ٨٢.

قيل له عليه السلام: ما معنىٰ لا مفصول ولا موصول؟

قال: لا موصول به أنه هو، ولا مفصول منه إنه من غيره[1].

فعندما تكسب صديقاً من أجل الله، بحيث يجمعك معه دين واحد، وهدف مشترك، فإن لك كل تلك الفوائد الأخروية، بالإضافة إلى ما سبق من أمور الدنيا، ولك أيضاً مزية يوم القيامة، لأنك صادقت المؤمنين، وأحببتهم..

- ٩ -

إن المؤمن يجب أن يتحول من فرد إلى «تنظيم» ومن «تنظيم» إلى «حركة» ومن «حركة» إلى «تيّار» وكل ذلك لا يتحقق إلاّ إذا كسب المؤمن أكبر قدر ممكن من الناس وجمعهم حوله، لا حباً في نفسه، بل حباً في الناسِ والعمل.

ومن هنا، فليس الذي يفتخر بأنّه يعيش وحده، وأنّه لا علاقة له بالناس، فلا يعرفهم ولا يعرفونه، ليس هذا مؤمناً صادقاً.. «فمن شذّ عن الجماعة شذّ في النار» كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إن على المؤمن أن يمتلك روح التآلف مع غيره في كل الحالات.

---

(١) تحف العقول ص ٢١٦.

أما من يقول: لقد «ولدت وحدي، سأموت وحدي فلماذا لا أعيش وحدي؟ فإنه ينسى أنه ولد جاهلاً. فهل أن عليه أن يبقىٰ جاهلاً أيضاً طوال حياته؟

إننا لا نجد مؤمناً صادقاً إلاّ في وسط إيماني، وبين جماعة مؤمنة. فالمؤمن يحنّ إلى المؤمنين، كما يحن النحل إلى مجموعته، والفراش إلى الزهور. وصدق من قال: «إن الطيور على أشكالها تقع».



- ١٠ -

نعم.. إن الأمر يختلف مع القوم الفاسقين، فالاعتزال عنهم أمر ضروري إلاّ إذا كان من أجل هدايتهم وإرشادهم..

وإذا لم يكونوا قابلين للهداية، فالواجب الفرار منهم إذا كان الخطر يأتينا من جهتهم.

تماماً كما فعل إبراهيم الخليل، بالمشركين الذين أبوا إلاّ الكفر قائلاً لهم:

«واعتزلكم، وما تدعون من دون الله»[1].

أو كما فعل أصحاب الكهف، حينما وجدوا أنفسهم بين

---

(١) سورة مريم، آية: ٤٨ ـ ٤٩.

قوم يصرون على الشرك والكفر، وكان منطقهم: **﴿هؤلاء قومنا قد اتخذوا من دونه آلهة، لولا يأتون عليهم بسلطان مبين، فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً * وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلاّ الله، فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً﴾**[1].

ويقول تعالى في آية أخرى:

﴿فإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم، حتى يخوضوا في حديث غيره، فامّا ينسينك الشيطان، فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾.

يقول رسول الله ﷺ: «الوحدة خير من قرين السوء»[2].

ويقول ﷺ:

«استأنسوا بالوحدة عن جلساء السوء»[3].

ويقول أيضاً: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس مجلساً ينتقص فيه إمام، أو يُعاب فيه مؤمن»[4].

ويوصي لقمان ابنه قائلاً: «يا بُنيّ.. الوحدة خير من صاحب السوء»[5].

---

(١) سورة الكهف، آية: ١٥ ـ ١٦.
(٢) اعلام الدين ص ٢٩٤.
(٣) التذكرة الحمدونية ١/ ٥٣.
(٤) الكافي ٢/ ٣٧٦.
(٥) الاختصاص للمفيد ص ٣٣٧.

ويقول الإمام العسكري عليه السلام:

«اللحاق بمن ترجو خير من المقام مع من لا تأمن شره»[1].

ويقول أحد الحكماء»: «إياك وقرناء السوء، فانك إن عملت قالوا: رائيتَ، وإن قصَّرت قالوا: أثمت، وإن بكيتَ قالوا: شهرت، وإن ضحكت قالوا جَهِلْتَ، وإن نَطقتَ قالوا: تكلفت، وإن سكتَ قالوا: عييتَ، وإن تواضعتَ قالوا: افتقرتَ، وإن أنفقتَ قالوا: أسرفت، وإن اقتصدتَ قالوا: بخلتَ»[2].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«إياك ومصاحبة الفسّاق فإن الشر بالشر يلحق»[3].

هذا إذا كان المؤمن يائساً من تأثير كلامه في الآخرين. أما إذا كان هنالك أمل، ولو بمقدار قليل في هدايتهم، فإن الاعتزال يجب أن يكون عن أعمالهم فقط، وليس عن أشخاصهم.

كما فعل أبو ذر الغفاري (رحمة الله عليه) الذي آثر العزلة، من دون أن يلجأ إلى الكهوف. فقد كان يمشي في

---

(١) اعلام الدين ص ٣١٣.

(٢) الصداقة والصديق لابن حيان ص ٥٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ١/١٥٩ ـ ١٦٠/١٠.

الأسواق، ويتلو على التجار قول الله تعالى: **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها في نار جهنم، فتكوى بها جباههم وجنوبهم، وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾**[1].

وعندما حاولت السلطات نفيه من المدينة سألوه عن أحب البقاع إليه، فقال: «المدينة حيث مثوى رسول الله، وحيث الأخوان من المؤمنين».

وسألوه عن أبغض البقاع إليه فقال: «الربذة» لأنه عاش فيها مشركاً بالله تعالىٰ، ولم يكن بها أحد من رفاقه من أصحاب رسول الله.

فنفته السلطات إلى الربذة، فمات في الطريق من الجوع والعطش ووعثاء الطريق!.

فأبو ذر كان يرغب في مصاحبة إخوانه، والعيش معهم، وعندما لم يستطع بالرغم عنه أن يكون معهم آثر العزلة، وبقي إلى الأخير يحن إلى إخوانه.



(١) سورة التوبة، آية: ٣٤ ـ ٣٥.

- ١١ -

ثم إنّ الامتناع عن الاختلاف مع الأخوة قدر المستطاع، والابتعاد عن كل من يشذ عنهم، أمر ضروري للحفاظ على سلامة العلاقات العامة في المجتمعات.

يقول تعالى: ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرقوا، واختلفوا**﴾[١]. وبذلك يعتبر ربنا كل من يختلف عن أخوته، ويتفرق عنهم نموذجاً سيئاً يطالبنا بأن لا نكون مثلهم.

إن الاختلاف يؤدي إلى الضعف بينما الوحدة قوة، وقال الله تعالى: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا، وتذهب ريحكم**﴾[٢].



- ١٢ -

الصداقة، لا تتحقق بلا تنازل.

فلا صديق من يريد أن «يأخذ» فقط، كما لا يبقى صديقاً من يراد منه أن يعطي فقط.

إن الصداقة بحاجة إلى التنازل عن الذاتيات، حتى يتمكن كل طرف من كسب الطرف الآخر، أو التفاهم والتنسيق معه.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٥.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

فحينما ينتمي الإنسان إلى مجموعة، فلا بد أن يتنازل عن بعض مصالحه لكي يجتمع الشمل، وإلا فلن تتحقق الصداقة. إذ أنه بقدر ما خلق الله من البشر، خلق الله الأذواق والآراء، فلو أن كل طرف أصرّ على مصلحته الخاصة ورأيه الخاص، لكان الأمر كما يقول الشاعر:

قومي رؤوسٌ كلُّهُم   أرأيتَ مزرعةَ البصلِ؟

إن وحدة الكلمة إنما هي في تجمع الرؤوس العديدة على جسد واحد، وإرادة واحدة، وهدف واحد، لا في زيادة الرؤوس والآراء والأجساد والأهداف.

إن من واجب الإنسان أن يتوحد مع المجموعة، ويكون عضواً فعالاً بينهم، وإذا خالفته الجماعة في رأيه، فلا ينبغي له أن يفكر في التشرذم والتشعب، بل يجب أن يتنازل عن آرائه. لأنه حينما يتنازل عن رأيه، يكسب عدة آراء، بينما لو أصر على رأيه لخسر آراء عديدة وكسب رأياً واحداً.

كما أن عليك أن تعرف بأنك لن تكسب أحداً إذا كنت تريد أن تأخذ فقط. فالصداقة «عطاء» أولاً ثم «أخذ» بعد ذلك، ولا يوجد من يكون مستعداً أن يخدمك باستمرار.

إن الصداقة هي بنت التنازل، فلكي تعيش مع الناس لا بد أن تكون صديقاً لهم، ولكي تكون عضواً سليماً في المجتمع فلا بد أن تعرف كيف ومتى تعطي؟.. وكيف، ومتى تقدم التنازلات الشخصية.

إن الاشتراك مع جماعة، في وجبة طعام بحاجة إلى تنازل الأطراف عن بعض أذواقهم، فكيف بكسب الجماهير، وعقد العلاقة معهم؟

وهذا هو اللين الذي يقول عنه الإمام علي عليه السلام:

«من لانت عريكته، وجبت محبته»[1].

ويقول عليه السلام:

«من خشنت عريكته، أفقرت حاشيته».

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ألا أخبركم على مَن تحرم عليه النار غداً؟

فقالوا: بلىٰ يا رسول الله.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: الهيّن، القريب، اللين، السهل»[2].

ويقول الإمام علي عليه السلام: «مَنْ تلنْ حاشيته، يستدم من قومه المودة»[3].

ويقول لقمان: «كن قريباً سهلاً، فإن الله يحبُّ كل سهل طلق، وهو رأس أخلاق الصالحين»[4].

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٧٩.

(٢) ثواب الأعمال ص ١٧٢.

(٣) نهج البلاغة/ الخطبة ٢٣.

(٤) مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ٢٧٠.

فالتنازل، هو الخطوة الأولى نحو الاتفاق.

وهو في كثير من الأحيان أيضاً، الخطوة الأولى نحو الصواب، فالذين يصرون على آرائهم، كثيراً ما يخطئون في فهم الأشياء.. إذ أن التعصب يعمي أبصارهم.

أما حينما يتنازل الإنسان عن رأيه، فسرعان ما يكتشف أن الطرف الآخر كان على صواب. وأنه كان على خطأ!

إن الإنسان حينما كان يتصرف كما يحلو له، ويفعل كما يحلو له، كان يعيش في الكهوف والغابات، وحينما تعلم التنازل أصبح متحضراً يعيش في المدن، لأن المدَنية بحاجة إلى الانضباط والالتزام بالقوانين.

وقد تسأل ما هو التنازل المطلوب؟

والجواب: أن تعرف حدودك وحدود الآخرين، وأن تحترم حدود الآخرين كما تحب أن يحترم الآخرون حدودك.

يقال بأن شخصاً كان يلعب بعصاه، فمر أمامه شخص آخر، فاصطدمت العصىٰ بأنفه، فقال الأخير: ماذا صنعت؟

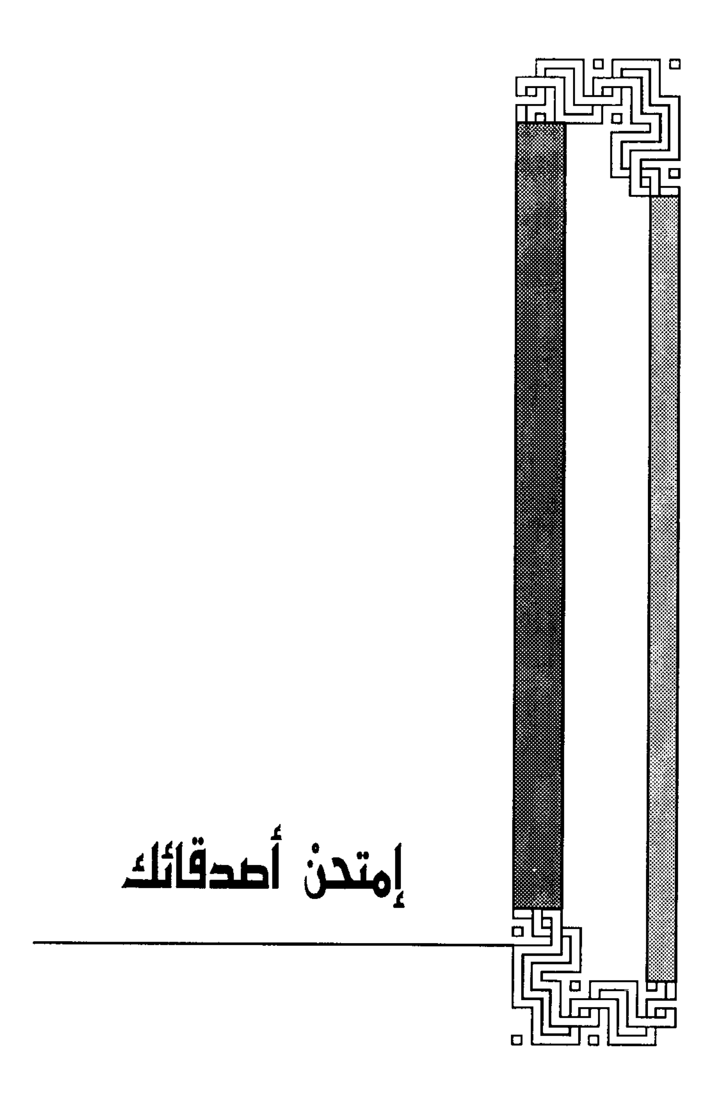
قال صاحب العصى: «عصاي، ويدي، ولي الحرّية فيما أفعل بهما!».

فقال صاحبه: «هذا صحيح، ولكن لا تنسى أن حدود حريتك تنتهي عند أنفي!».

وهكذا فإن عليك أن تتنازل عن ذاتياتك، وتحافظ على حرمة قانون المجموعة لكي تكسب الناس.

وبكلمة: فإن الصداقة تتطلب التنازل من كل الأطراف فـ «لا تضيعنَّ حق أخيك إتكالاً علىٰ ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخٍ من ضيعت حقه» كما يقول الإمام علي عليه السلام[1].

(١) اعلام الدين ص ١٧٨.



إمتحنْ أصدقائك

يقول الإمام علي عليه السلام: «لا ترغبن في مودة من لم تكتشفه»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أردت أن تعلم صحة ما عند أخيك فاغضبه، فإن ثبت لك على المودة، فهو أخوك، وإلا . . فلا»[2].

ويقول الإمام علي عليه السلام: «لا تأمن صديقك حتىٰ تختبره»[3].

وسأل أحدهم: بم يعرف الرجلُ أصدقائه؟

فقال: «بالشدائد، لأن كلِّ أحد في الرخاء صديق»[4].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٣١٩/١٨.

(٢) تحف العقول ص ٢٦٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٣٢٨/٥١.

(٤) الصداقة والصديق ص ٧١.

ويقول النبي أدريس عليه السلام: «اكتسبوا الأصدقاء، وقدموا الاختبار لهم قبل الاستنافة إليهم، ولا تعجلوا بالثقة بهم قبل المحنة لئلا يلحقكم الندم وتنالكم منهم المضرة»[1].

إن الصديق، رفيق الإنسان، ليس في الدنيا فحسب، بل في الآخرة أيضاً.. ومن هنا تأتي أهمية الأصدقاء، وخطورة إنتخابهم.

فإذا كان الصديق يكشف عن هوية صاحبه، وعن موقعه في الحياة، حتى قيل: «قل لي: «من تصادق»؟.. أقل لك «من أنت»؟ فإنه يأتي سؤال يقول: هل كل الناس جديرون بالصداقة؟ وهل الأصدقاء كلهم على قدر متساو في ضرورة تكوين العلاقة معهم؟.

والجواب:

أولاً: ليس كل الناس جديرين بالصداقة، بل يجب على الإنسان أن يختار الأصدقاء من بين الناس، كما يختار الطير الحبَّ الجيد من الحبِّ الرديء..

ثانياً: يجب على الإنسان أن يكون «معتدلاً» في صداقته، فلا إفراط ولا تفريط حتى مع الجيدين.

يقول الحديث الشريف: «أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما. وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن

(١) مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ٧١.

يكون حبيبك يوماً ما»[1].

وقد نظم أحد الشعراء هذا المعنى فقال:

أحببْ حبيبك حُبًّا رويدا   فقد لا يعولك أن تصرما
وابغض بغيضك بغضاً رويدا   إذ أنت حاولت أن تحكما[2]

وهذه حقيقة مهمة في الحياة لأن الناس ليسوا جدراناً، أو أحجاراً، بل هم «بشر» تؤثر فيهم المؤثرات الاجتماعية، فمن كان منهم جيداً الآن فلا يعني أنه سيبقى كذلك إلى الأبد.. ومن كان رديئاً، فلا يعني أنه سيبقى كذلك، إلى الأبد أيضاً.. فلا يجوز أن تكون الصداقة «مطلقة»، وبلا حدود.. بل يجب أن تكوم مسيَّجة بحدودها المعقولة، ومحدودة بمقاييسها الإنسانية.

ويتساءل المرء:

كيف هم أصدقاء الخير؟

وكيف هم أصدقاء السوء؟

لقد صنف الإمام علي عليه السلام الإخوان إلى نوعين فقال: «الإخوان صنفان:

- «إخوان الثقة»

(١) أدب الدنيا والدين ص ١٧٧/ حق اليقين ص ٤٧٣.
(٢) مجمع الأمثال ١/ ٢٠٩.

ـ «وإخوان المكاشرة»

«فأما إخوان الثقة فهم الكف والجناح، والأهل والمال، فإن كنت من أخيك على حد الثقة فابذل له مالك ويدك وصاف من صافاه، وعادِ من عاداه، وأكتم سرَّه وعيبه واظهر منه الحسن. واعلم أيها السائل أنهم أقل من الكبريت الأحمر!».

«وأما إخوان المكاشرة فإنك تصيب منهم لذتك، فلا تقطعنَّ منهم لذتك، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه، وحلاوة اللسان»[1].

وحسب هذا التصنيف، فإن الأصدقاء على نوعين:

النوع الأول ـ الأصدقاء الذين تثق بهم ثقة كاملة ولا تشوب علاقتك معهم أية شائبة، وهؤلاء في الحقيقة، «كفٌّ» تضرب بهم العدو. و «جناحٌ» تطير بهم في الحياة، و «أهلٌ» تأنس بهم في المجتمع. و «رأسمالٌ» في وقت الفاقة والحاجة.

وقد تسأل: كيف أستعين بأصدقائي وأحولهم إلى «كف» و «جناح» و «أهل» و «رأسمال»؟.

والجواب: بأن تبادر أنت إلى ذلك، وتساعد إخوانك وتكون لهم كالكف والجناح.. ولذلك يقول الإمام علي عليه السلام: ابذل لصديقك نفسك ومالك»[2].

---

(١) تحف العقول ص ١٤٥.

(٢) الخصال ١٤٧/ ح١٧٨.

فلا تبحث عن الأخذ فقط، بل بادر في العطاء، وعن طريقه اصنع منهم أصدقاء جيدين.

النوع الثاني ـ الأصدقاء الذين لا تثق بهم ثقة كاملة، فباستطاعتك أن تحصل منهم على المشرب والمأكل، ولكن «لا تقطعن ذلك منهم»، فإذا لم تحصل على إخوان الثقة، فلا يعني ذلك أن تعيش وحيداً في هذه الحياة. بل تعامل مع هؤلاء، كمعاملة التاجر «وابذل لهم ما بذلوا لك».

فإذا ذهبوا معك في رحلة، فاذهب معهم في رحلة أخرىٰ: وإذا بذلوا لك مالاً، فلا مانع في المقابل أن تبذل لهم بمقدار ما بذلوا لك، بشرط أن «لا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم».

❀ ❀ ❀

والإمام الصادقعليه السلام يقسم الأصدقاء إلى ثلاثة أنواع ويقول: «الإخوان ثلاثة:

فواحد كالغذاء الذي يُحتاج إليه في كل وقت: فهو العاقل.

والثاني في معنى الداء: وهو الأحمق.

والثالث في معنى الدواء: وهو اللبيب»[1].

(١) تحف العقول ص ٢٣٩.

فالنوع الأول: تحتاج إليه في كل وقت، وفي كل مكان. فكما لا يمكنك إلغاء حاجتك إلى الطعام، فإنَّه لا يمكنك أن تلغي حاجتك إلى أخ عاقل، تأخذ منه المشورة، وتشاطره الآراء.

والنوع الثاني: الأصدقاء الذين يسبّبون لك دائماً المشاكل، ويوقعونك في المواقف الحرجة، وهم «الحمقىٰ»، فالأحمق حتىٰ لو كان يحبك فهو يضرك وإن كانت نيته صادقة، بل إنه يضر حينما يريد أن ينفع.

يقول الإمام علي عليه السلام: «إحْذَر الأحمق فإنَّ مُداراتَهُ تُعييك، وموافَقَتهُ تُردِيكَ، وَمُخالفته تؤذِيك، ومصاحبته وبال عليكَ»[1].

ويقول أيضاً: «إياكَ وَمَصادقةَ الأَحمقِ فإِنَّهُ يُريد أَنْ ينفعكَ فَيُضرُّكَ»[2].

والنوع الثالث: الأصدقاء الذين يتمتعون بالفهم، والإدراك، ولهم خبرة في الأمور.. ولكنهم ليسوا من أهل الثقة.. فهم كالدواء الذي لا يستعمله الإنسان في كل الأوقات، وإنّما عند الحاجة فقط، إلاّ أن عليك أن تستفيد من رجاحة عقولهم، وخبرتهم في الأمور.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ١٥٥/ ١٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ١٦٠/ ١٥.

والسؤال هنا هو:

كيف نعرف الصديق الجيد من الرديء، والعاقل من الأحق؟.

والجواب: عن طريق الامتحان!.

فلا يجوز أن نثق كل الثقة بالصديق إلاّ بعد إمتحانه، فلا يكفي أن يضحك في وجهك شاب لكي تتخذه صديقاً، فالنفوس مثل المغارات لا يمكن اكتشافها بمجرد لقاء عابر، فكما لا يمكن اكتشاف المغارة من بوابتها، بل لا بد من الدخول فيها، والغوص في أعماقها، وعندئذ سيكتشف الإنسان، إمّا مناظر جميلة خلابة، أو ثعابين وعقارب.. كذلك النفوس لا تكشف إلاّ بالامتحان.

يقول الإمام علي عليه السلام: «لا يعرف الناس إلا بالاختبار»[1].

ويقول عليه السلام: «لا تثق بالصديق قبل الخبرة»[2].

ويقول عليه السلام: «لا ترغبن في مودة من لم تكتشفهُ»[3].

إن الصداقة من دون اختبار مسبق قد تضطر المرء إلى التورط مع أصدقاء السوء.

---

(١) البحار ج ٧٨ ص ١٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٣٢٣/ ٩٥.

(٣) المصدر.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«مَنْ اتَّخَذَ أخاً من غير إختبار ألجَأَهُ الاضطِرارُ إلى مُرافَقةِ الأشرارِ»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا تثقن بأخيك كل الثقة، فإن صرعة الاسترسال لا تستقال»[2].

إن الاختبار وحده يكشف لنا حقائق الرجال.

يقول الإمام علي عليه السلام: «من قلب الإخوان عرف جواهر الرجال»[3].

إذن.. كما يقلّب الناقد الذهب قبل اقتنائه، لا بد أن يقلّب الإنسان أصدقاءه قبل اختيارهم شركاء له في الحياة.

«فمن الإخوان كالجوهر، منه مموّه مَصْنُوع، وبعضه خالِصٌ مطبوع، فاعرف الرجالَ بالخَبرَ، كما تسبر الجوهر بالبَصَر، واعلم أن ثقات الإخوان، بقدر ما يستوجبون من الائتمان، فإن ميزان الكرام عادل، وصاعهم كامل، يوفيان الحالات فروضها، ولا يبخسانها حقوقَها»[4].

وهنا لا بد من الإشارة إلى نقطة هامة وهي، إنه ليس

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٢٢٤/١٢٦٧.

(٢) تحف العقول ص ٢٦٣.

(٣) أعلام الدين ص ١٧٨.

(٤) الصداقة والصديق لابن حيان ص ٣٣٤ «من رسالة لكاتب».

الصديق من يحبك وتحبه فقط، أو يثق بك وتثق به فحسب، بل الصديق الجيد هو من يجمعك وإياه هدف واحد، فليس الحبيبان من ينظر أحدهما إلى عيني الآخر. بل الحبيبان من ينظر كلاهما إلى نقطة مشتركة.

فمن يجمعك معه الهدف الواحد مثل الخلية الواحدة، في تنظيم رسالي، فهو صديق أساسي، حتى لو لم تكن أجواء المحبة سائدة بينكما من قبل، فطالما يجمعكما «المبدأ» والهدف فهو صديق له قيمته، لأن المحبة قد تزول ولكن المبدأ والهدف باقيان.

وأمّا غير هؤلاء فإنّ أفضل الأمور هو الاختبار المسبق هو الطريق إلى معرفة الرجال. فلا تتخذ صديقاً قبل أن تعرفه لأن المقاطعة بعد المصادقة أصعب من عدم المصادقة.

يقول اياس لبنيه: «يا بني تثبتوا في مَنْ تؤاخون، فإن كانت المحاسن أكثر من المقابح فتقدموا، وإن كانت المقابح أكثر من المحاسن فتأخروا، فإن التحول عن الإخاء شديد، وليس الأخ كالثوب يَبْلىٰ فيُطرحَ، ولا كالعليق يُزهَدُ فيه فيستبدل به»[1].

ويقول عبد الله بن جعفر لصديق له: «إن لم تَجدْ من صحبة الرجال بداً فعليك بصحبةِ من إذا صحبتَهُ زانكَ، وإن

(١) التذكرة الحمدونية ٢/ ٣٧٥/ ٩٨٦.

خَففتَ له صانكَ، وإن احتجت إليه اعانك، وإن رأىٰ منك خلةً سدّها، أو حسنة عدَّها، وإن وعدك لم يخرِصْك[1]، وإن كبرت عليه لم يرفضك، وإن سألته أعطاك، وإن أمسكت عنه ابتداك»[2].

ومثل هؤلاء يمكنك مصادقتهم في الله، عن طريق المشاركة معهم في تحقيق الأهداف العالية.

إن الصديق «في الله» هو الذي لا يتغير أبداً، مهما تغيرت الظروف، لأن الله تعالى لا يتغير، وقيمه ومثُلُه لا تزول، وصديق المبدأ يبقى ببقائه.

أما الصديق الذي يجمعك وإياه عمل محدود، أو مكسب مؤقت، أو تجارة عابرة، فإن علاقتكما ستنتهي حالما يبور العمل، وكذلك أيضاً صديق الوظيفة، إنه سوف ينساك حالما تتغير «الطاولة» الواحدة التي كانت تجمع بينكما.

وهكذا فإن أقوى روابط الأخوة، هي حينما يكون الجامع بينكما هدف نبيل.

ومن هنا تأتي قيمة الأصدقاء في العمل المشترك، فلا تبيعن أمثالهم بالتافه ولا تفرطن بهم بسهولة، لأنهم أقلّ من الكبريت الأحمر.



---

(١) خرص: كذب والخرّاص: الكذّاب.

(٢) الصداقة والصديق لابن حيان التوحيدي ص ١٩١.

وهنا سؤال يقول كيف نمتحن الأصدقاء؟.

والجواب:

هنالك ست طرق لذلك، وهي كالتالي:

أولاً ـ الامتحان الروحي

إن المحبة مثل إشارة «التلغراف» فإذا شعرت بالمحبة في دقات قلبك، تجاه شخص، فاعرف أنه ـ هو الآخر ـ يشعر بمثل ما تشرع به في قلبه.

وهذه الحقيقة قد ينكرها «الماديون» ولكننا نؤمن بها، لأننا نؤمن «أن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها إئتلف، وما تناكر منها اختلف» ـ كما يقول رسول الله ﷺ»[1].

فإذا أردت أن تعرف محبة أخيك فراجع قلبك أولاً.. وانظر هل تحبه أم لا، فإذا لم تشعر بأية محبة تجاهه، فاعرف إنه أيضاً لا يشعر بمثل ذلك تجاهك.

ولكن هذه العملية بحاجة إلى أن تتعرف على نفسيتك، وعواطفك، وضميرك بشكل جيد، لكي لا تخلط بين إشارات الغريزة، وبين موجبات العاطفة الصادقة.

وعلى أي حال، فإن التآلف بين الأصدقاء يبدأ من الائتلاف الروحي، والأرواح هي التي تكتشف بعضها، قبل أن

---

(١) الصداقة والصديق لابن حيان ص ١٢٤.

تكتشفها الأجسام، ومن هنا فإنك قد تلتقي بإنسان لأول مرة، فتخال بأنك تعرفه منذ أمد طويل.. وعلى العكس قد تجاور إنساناً مدة طويلة، ولكنك لا تشعر تجاهه بأي انسجام.

وفي هذا الصدد يقول الله تعالى ـ مخاطباً رسوله الكريم:

﴿إذا جاءك المنافقون قالوا: نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون﴾[1].

لأن القلوب لم تشهد على صدق شهادتهم.. ومن هنا كان كلامهم كذباً.

وهكذا فإن الاختبار الروحي، هو أول وسيلة لامتحان الصديق.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «اعرف المودة في قلب أخيك، بما له في قلبك»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «انظر قلبك، فإن أنكر صاحبك فقد أحدث أحدكما»[3]. أي فعل شيئاً ضد صاحبه.

وسأل رجل الإمام الصادق عليه السلام: عن الرجل يقول:

---

(١) سورة المنافقون، آية: ١.

(٢) تحف العقول ص ٢١٥.

(٣) أمالي المفيد ١١/١٩٢.

«أني: أودك، فكيف أعلم إنه يودني؟.

فقال الإمام عليه السلام: «إمتحن قلبك، فإن كنت توده، فإنه يودك»[1].

❀ ❀ ❀

ثانياً ـ الامتحان عند الحاجة

لا شك أن أصدقاء «الأخذ» كثيرون، أما أصدقاء «العطاء» فهم قلة.. وهم الجديرون بالصداقة، لأنهم أصدقاء الإنسان، لا أصدقاء جيبه!

ولكي تعرف أي إنسان، جرّبه عند الحاجة إليه، وانظر هل يلبّي حاجتك أم لا؟.

وهل يهتم بك، وأنت ضعيف؟.

إن الناس عادة على نوعين:

الأول: الذين يقضون حاجات الناس، من دون أن يكونوا مستعدين للتضحية في سبيل ذلك، وإنما بمقدار ما يتيسر لهم من الأمر.

الثاني: الذين يؤثرون على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة ـ حسب تعبير القرآن ـ والمطلوب ليس النوع الثاني

---

(١) المحاسن ص ٢٦٦.

دائماً ـ لأنهم في كل الظروف قلّة ـ، بل الأول، أما من كان يرفض أن يمدّ يد العون إلى الإنسان عند الحاجة إليه، فهو غير جدير بالصداقة في هذه الحياة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاثة لا تعرف إلاّ في ثلاثة، لا يعرف الحليم إلاّ عند الغضب. ولا الشجاع إلاّ عند الحرب. ولا الأخ إلاّ عند الحاجة»[1].

فكما أنه ليس الحليم، من يكون حليماً بلا إثارة، وكما أنه ليس شجاعاً من يتظاهر بالشجاعة كذلك ليس الأخ من يدعي العطاء، بل هو من يكون سخياً عند الحاجة إليه..

فلكي تعرف الصديق، جرّبه في الطلب منه، وحينئذ تعرف كيف يتصرف معك.

ولا تنسى حينما يحتاج إليك الناس، إنك ستحتاج إليهم يوماً، فلا تبخل على نفسك بقضاء حوائجهم، لكي لا يبخلوا عليك، حين الحاجة إليهم.

يقول أحد الحكماء: «لا تَعُدَّنَ من إخوانك من آخاكَ في أيام مقدرتك للمقدرة، واعلم أنه يثقل عليك في أحوال ثلاث: فيكون صديقاً يوم حاجته إليك، ومعرفةً يومَ استغنائهِ عنك، ومتجنباً يوم حاجتك إليه»[2].

وأتذكر هنا.. إنه كان لي أخ في الله، وكان سخياً في العطاء. وكلما كنا نحتاج إلى بعض المال، لتمويل بعض

---

(١) تحف العقول ص ٢٣٢.

(٢) التذكرة الحمدونية ٤/٣٦٩/٩٥٧.

أعمال الخير كنا نلتجىء إليه، فلم يكن يرد لنا حاجة، بل ربما كان يذهب إليه بعض الشباب في حاجاتهم، فيطلب منهم أن يمهلوه ساعة، فكان يقترض لهم من الآخرين، ويعطيهم ما يحتاجون إليه . .

وما هي إلاّ سنوات، حتى احتاج هو إلى المساعدة، بعد أن هجّرته السلطات من بلده، فالتجأ إلى نفس الأصدقاء الذين كان يقترض لقضاء حوائجهم، ولم يقصروا بحقه، بل ساعدوه بكل ما امتلكوا.

إن العطاء هو مقياس إنسانية الإنسان لدى الله عز وجل.

يقول ابن عباس: كنت مع الحسن بن علي عليه السلام في المسجد الحرام ـ وهو معتكف به، وهو يطوف بالكعبة ـ فعرض له رجل من شيعته، فقال: يا ابن رسول الله، إنَّ عليّ دين لفلان، فإن رأيت أن تقضيه عنّي.؟

فقال: «ورب هذا البيت، ما أصبح عندي شيء».

فقال: إن رأيت أن تستمهله عني، فقد تهددني بالحبس.

قال ابن عباس: فقطع الطواف وسعىٰ معه، فقلت يا ابن رسول الله، أنسيت أنك معتكف؟

فقال: «لا، ولكني سمعت أبي عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قضىٰ لأخيه المؤمن حاجة، كان كمن عبد الله تسعة آلاف سنة صائماً نهاره قائماً ليله»[1].

---

(١) أعلام الدين ص ٤٤٢.

وقد جاء في قصص بني إسرائيل، إن النبي موسى بن عمران، التقى ـ وهو في طريقه إلى الطور لمناجاة الله ـ بعابد، يعكف على العبادة في صومعته، فجلس عنده موسى عليه السلام وسأله: كم سنة مرت عليك وأنت عاكف على العبادة هنا؟.

فأجاب: سبعون عاماً.

وحينما أقبل وقت الغداء فرش العابد سماطه، وبدأ يأكل طعامه البسيط، من دون أن يقدم لموسى شيئاً منه.

وبعدها.. قام موسى ليخرج إلى الطور، فقال له العابد: يا موسى إسأل ربي، أين موقعي من الجنة؟.

فخرج موسى من عنده، ومشى حتى لقى عابداً آخر، فسأله: كم سنة مرت عليك وأنت عاكف على العبادة هنا؟.

قال: بضع سنوات. فجلس عنده موسى، فأتى العابد بتفاحة، وقال: لا أملك غير هذه التفاحة، وسأقسمها بالنصف بيني وبينك، فأعطى لموسى عليه السلام نصف تفاحته، وأكل النصف الآخر.

وبعد ذلك قام موسى ليودعه، فقال له العابد: اسأل ربي أين موقعي في الجنة؟.

..في الطور، سأل موسى ربّه، عن كل من العابدين فأوحى الله إليه قائلاً:

«أما العابد الأول فموقعه النار. وأما الثاني فإن له مقاماً محموداً في الجنة..».

وتعجب موسى من ذلك، لأن العابد الأول كان قد عبد الله سبعين عاماً، بينما الثاني لم تتجاوز عبادته بضع سنوات!.

فسأل ربَّه عن ذلك، فأوحى الله إليه:

«إن الأول منع عنك الطعام، وهو يعلم إنك عبدي وولّي، أما الثاني فقد شاطرك التفاحة، وهو لا يملك سواها»[1].

إذن.. فالعابد الأول، لم يفهم من العبادة إلاّ أن يركع بجسمه، ويسجد بجبهته، لا أن يكون معطاءاً في حياته، فهو من أهل النار.. أما الثاني، فقد فهمها عطاءاً وإنسانية، فهو من أهل الجنة.

وعلى كل حال فإنه حينما رجع موسى عليه السلام أخبر كلا العابدين، بما أوحى الله إليه.. إلاّ أن العابد الأول حينما سمع أنه من أهل النار، طلب من موسى أن يرجو له من الله أحد أمرين:

أما أن ينفخه الله حتى يملأ جهنم كلها.

أو أن يضعه الله في جهنم خاصة به، لأنه لا يستطيع أن يسمع أنين المعذبين.

وذات مرة، ناجى موسى ربه، وطلب منه ما قال العابد

(١) عن التوبة والرحمة الآلهية. للمؤلف

الأول، فأوحى الله إليه: «أما الآن فبشره بالجنة.

فسأل موسى ربه: ولماذا يا رب؟

فأجابه الله تعالى: لأنّه لا يستطيع أن يسمع أنين المعذبين.

فهو إذن استحق النار لأنه كان يفتقد صفة العطاء. ولكنه استحق الجنة، لأنه لم يكن حاقداً على أحد، ولم يكن يتحمل أنين المعذبين.

❀ ❀ ❀

إن الصديق الوفي هو من يعطيك عند الحاجة، سواء كانت حاجتك مادية، أم معنوية. وأفضل منه، من يؤثرك على نفسه، ويضحي من أجلك، كما فعل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فبعد أن وصل إلى الإمام، خبر مقتل ممثله مسلم بن عقيل، في الكوفة، لم يشأ الإمام أن يخفي هذا الخبر عن أصحابه، بل قال لهم ليلة عاشوراء، أنه سيُقتل غداً مع كل من يقف معه.

فكان جواب أصحابه المخلصين: ـ «قد سمعنا، هداك الله يا ابن رسول الله، مقالتك ولو كانت الدنيا باقية وكنا فيها مخلدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها»[1].

---

(١) اللهوف ص ٧٩.

وهكذا فإنَّهم نجحوا في أعظم اختبار تعرضوا له، وأصبحوا أمثلة جديرة بالاقتداء في الحياة.

❀ ❀ ❀

ثالثاً ـ امتحانه في حب التقرب إليك

بإمكانك اختبار صديقك، عبر اختبار حبّه للتقرب إليك في الأمور التالية:

انظر: هل يحب أن يستمع إليك؟

هل يتحدث عن الأعمال الصالحة التي تقوم بها؟

هل يرتاح إلى مجالستك؟

هل يحاول كسب رضاك، وإدخال السّرور إلى قلبك؟.

يقول رسول الله ﷺ: «صديق المحبة في ثلاثة: يختار كلام حبيبه على كلام غيره.

«ويختار مجالسة حبيبه على مجالسة غيره.

«ويختار رضى حبيبه على رضى غيره».

فإذا توفرت في صديقك هذه الصفات فهو حقاً صديق المحبة.



رابعاً ـ الامتحان في الشدائد

الصديق الجيد من يكون موقفه منك جيداً، حينما تكون في شدة. ويكون معك حينما يتبرأ منك الآخرون. ويصدقك حينما يكذبك الآخرون، كما كانت خديجة مع رسول الله.

ومن هنا كثيراً ما كان رسول الله، يذكرها، بعد وفاتها. . حتى أن عائشة قالت له ذات مرة.

ـ إنك لا تفتأ تذكر خديجة، وقد عوضك الله خيراً منها . ! .

فقال لها رسول الله ﷺ:

ـ «مَه يا عائشة! إن الله لم يعوضني خيراً منها، فقد صدّقتني حين كذّبني الناس، وآوتني حين طردني الناس، وآمنت بي حين كفر بي الناس».

فهي كانت صديقة «الشدة»، لا الرخاء، ولذلك لم يفتأ رسول الله يذكرها ويستغفر لها الله تعالى.

قد يتعرض إنسان مؤمن للاعتقال، فيتبرأ منه أصدقاؤه، ويبررون ذلك بقولهم: إن صداقة «فلان» أصبحت «مكلفة»! .

إن هؤلاء ليسوا جديرين بالصداقة! لأنهم يبحثون عن صديق «يكلّفوه» لا عمّن يتكلفون له.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «يمتحن الصديق بثلاثة خصال

فإن كان مؤاتياً فيها، فهو الصديق المصافي، وإلاّ كان صديق رخاء لا صديق شدة: تبتغي منه مالاً، أو تأمنه على مال، أو مشاركة في مكروه»[1].

يقول الشاعر:

وإني أخوهُم عند كلِّ مُلمَّةٍ   إذا متُّ لم يلقوا أخاً لهم مثلي
ومولىً دفعت الدرَّ عنه تكرّماً   ولو شئتُ أمسىٰ وهو مُغْضٍ على تَبْلِ[2]

ويقول المثل العربي:

«عند النازلة تعرف أخاك»[3].

كان وزير الدفاع العراقي السابق «عبد العزيز العقيلي» قد وضع تحت التعذيب في عهد أحمد حسن البكر، وفي «قصر النهاية» الرهيب التقى بأحد المسجونين ـ الذي أطلق سراحه فيما بعد ـ فقال له:

ـ «حينما كانت وزيراً للدفاع، كان يأتيني كل يوم أكثر من شخص، ويقول لي: إنما جئتك للسلام عليك فقط!

والآن يمضي على اعتقالي أكثر من عام، ولا أحد يطل علي، أو يسأل عني، أو يقوم بزيارة عائلتي».

.... طبعاً، أولئك لم يكونوا أصدقاء الرجل، بل أصدقاء

---

(١) تحف العقول ص ٢٣٧.

(٢) الصداقة والصديق لابن حيان ص ٢١٧.

(٣) مجمع الأمثال ٢/ ٣٧/ ٢٥٥٨.

«سعادة الوزير». وعندما انتهى كوزير، لم يعد له صديق.

فكانوا أصدقاء الطاولة التي أمامه، وحينما رفعت الطاولة من أمامه، انتهت صداقاتهم معهم.. أيضاً.

يقول الحديث الشريف: «اختبر صديقك في مصيبتك»[(١)].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«في الضيق يتبين حسن مواساة الرفيق»[(٢)].

ويقول عليه السلام أيضاً:

ما أكثَرَ الإخوان عِنْدَ الجفانِ وأقلَّهُمْ عِندَ حادِثاتِ الزَّمانِ[(٣)].

وسئل أحد الحكماء متىٰ يعرف الرجل أصدقاءه؟

فقال: عند الشدائد يعرف ذلك لأن كل واحد عند الرخاء صديق[(٤)].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«فما أكثر الإخوان حين تعدهم.. ولكنهم في النائبات قليل»[(٥)].

---

(١) مطالب السؤول ص ٢٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٥٣/ ٣١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٢٧١/ ٢٠٥.

(٤) مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ٨١.

(٥) ديوان الإمام علي عليه السلام ص ٣٣٧.

ويقول عليه السلام:

«لا تعدن صديقاً من لا يواس بماله»[1].

ويقول عليه السلام أيضاً:

«خير إخوانك من واساك بخيره، وخير منه من أغناك عن غيره»[2].

ويقول أحد الشعراء:

وكل أخٍ عند الهوينى ملاطف ولكنما الإخوان عند الشدائدِ[3]

وقال شاعر آخر:

صديقك حين تستغني كثير وما لَكَ عند فقرِكَ من صديقِ[4]

من هنا فإن عليك قبل أن تتخذ أي فرد صديقاً حميماً، إن تختبره في أية مصيبة تحل بك سواء كانت مصيبة إفلاس، أو غربة، أو سجن، أو مطاردة.

إن بعض الناس يصادقونك، حينما تكون الأوضاع مستقرة لك، وعندك عمل مضمون ووظيفة جيدة، ولا يوجد أحد يطاردك. ولكن في حالة تسفيرك من البلاد، أو مطاردتك من قبل السلطات، فإنهم يهربون منك لأنك أصبحت «تكلفهم».

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٣٢٦/١٢٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ١/٣٥٢/٦٧.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ١٧٧.

(٤) التذكرة الحمدونية ٤/٣٦٢/٩٢٣.

وهؤلاء ليسوا جديرين بالصداقة.

❁ ❁ ❁

خامساً ـ الامتحان في حالة الغضب

يظهر الإنسان على حقيقته في حالة الغضب، فيبدو في صورته الواقعية... ويقول حينئذ ما يفكر به، لا ما يتظاهر به.

فقد يكون هنالك من يجاملك، ويقدم لك كلمات المحبة في كل وقت، فإذا أغضبته، قال الحقيقة التي طالما سترها عنك.

يقول الإمام الصادقعليه السلام: «إذا أردت أن تعلم صحة ما عند أخيك فاغضبه، فإن ثبت لك على المودة، فهو أخوك، وإلا.. فلا!»[1].

ويقولعليه السلام:

«لا تعتد بمودة أحدٍ حتىٰ تغضبه ثلاث مرات»[2].

لأن.. «أقدر الناس على الصواب من لم يغضب» كما يقول الإمام عليعليه السلام[3].

يقول لقمان لابنه:

---

(١) تحف العقول ص ٢٦٢.

(٢) تحف العقول ص ٢٦٣.

(٣) غرر الحكم ٣/٣٩.

«إذا أردت أن تواخي أخاً فاغضبه، فإن أنصفك وهو مغضب وإلا فاحذره»[1].

ولذلك كان ضبط النفس مطلوباً في كل الأحوال لأن الغضب يكشف مساوىء الرجل.

ذات مرة أتىٰ رسول الله ﷺ رجل بدوي فقال: إني أسكن البادية فعلمني جوامع الكلام.

فقال: «آمرك أن لا تغضب».. فأعاد عليه الأعرابي المسألة ثلاث مرات حتىٰ رجع الرجل إلى نفسه. فقال لا أسأل عن شيء بعد هذا، ما أمدني رسول الله ﷺ إلا بالخير[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ يغضب عليك من إخوانك ثلاث مرات فلم يقل فيك مكروهاً فاتخذه صديقاً».

وحكي أن بعض ملوك الفرس كتب كتاباً، ودفعه إلى وزير له، وقال: «إذا غضبتُ فناولنيه».. وكان فيه: «مالك والغضب، إنما أنت بشر، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء»[3].

---

(١) مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ٢٧٦.

(٢) الكافي ٢/٣٠٣/٤، تحف العقول ص ٢٧١.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٢٥١.

ويقول أحد الحكماء: «الغضب على من لا تملك عجز، وعلى من تملك لؤم»[1].

❀ ❀ ❀

سادساً ـ الامتحان في السفر

في السفر يخلع الإنسان ثياب التكلف عن نفسه. فيتصرف بطبيعته ويعمل كما يفكر. ومن هنا فإنك تستطيع أن تمتحن صديقك بسهولة.

يقول الحديث الشريف: «لا تسم الرجل صديقاً حتى تختبره بثلاثة خصال: حين تغضبه، فتنظر غضبه، أيخرجه من حق إلى باطل؟..

«وحين تسافر معه..

«وحين تختبره بالدينار والدرهم»[2].

ويقول الشاعر:

كم صديقٍ عرفته بصديقٍ   كان أحظى من الصديق العتيقِ
ورفيقٍ صحبته في طريقٍ   صار بعد الطريق خيرَ رفيقِ[3]

فإذا ثبت لك صديقك في حالة الغضب، والسفر، وبعد

---

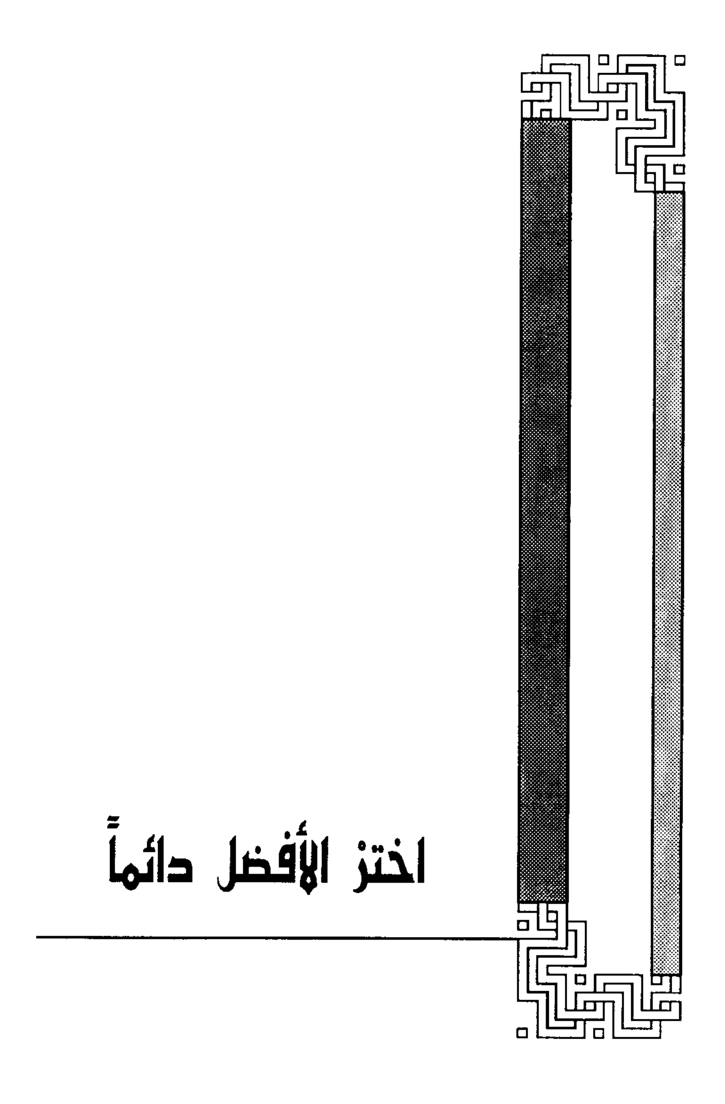
(١) أدب الدنيا والدين ص ٢٥١.
(٢) البحار ج ٧٤ ص ١٨٠.
(٣) الصداقة والصديق لابن حيان ص ٣٤٩.

الاختبار بالدينار والدرهم، فهو صديق جيد، وإلا فلا.

كانت تلك ست طرق لاختبار من تريد أن تتخذه صديقاً في الحياة.

وجدير بنا جميعاً، أن تجعل هذه الطرق وسيلتنا للتعرف على الأصدقاء الجيدين، كما أن علينا ـ إذا تعرضنا للامتحان في أمثالها ـ أن نسعى لكي نكون جديرين بأن يصادقنا الآخرون، ونخرج من الامتحان مرفوعي الرأس عند الله، وعند الناس جميعاً.





اخترْ الأفضل دائماً



قال رسول الله ﷺ:

«سائلوا العلماء، وخاطبوا الحكماء، وجالسوا الفقراء»[1].

وقال الإمام علي عليه السلام:

«عمارة القلوب في معاشرة ذوي العقول»[2].

وقال عليه السلام:

«عليك بإخوان الصدق، فأكثر من اكتسابهم، فإنهم ثمرة عند الاخاء، وجُنة عند البلاء»[3].

وقال لقمان الحكيم:

---

(١) تحف العقول ص ٣٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٤١/٢٨.

(٣) موسوعة الإمام علي في الأخلاق ٣٠/٢٩٦.

«من يجالس العلماء يغنم»[1].

قبل كل شيء لا بد أن نعرف من هو الصديق؟

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«الصديق إنسان هو أنتَ، إلا أنَّهُ غيرك»[2].

وقيل لأحدهم: مم أُخذ لفظ الصديق؟

قال: أخذ من الصدق، وهو خلاف الكذب. ومرة قال من الصَّدْق، لأنه يقال: رُوْحُ صَدْق أي صُلْبٌ، وعلى الوجهين، الصديق يصدق إذا قال، ويكون صَدْقاً إذا عمل، قال: وصُدْقةُ المرأة وصداقها وصُدقتها كله منتزع من الصِّدق والصَّدق، وكذلك الصادق، والصِّدِّيق، والصدوق، والصَّدَقة، والمتصدق والمصدق، كل هذا متواخٍ[3].

وقيل لآخر: مَنْ الصديق؟

قال: من لم يُجذْك سواه، ولم يُفقدك من هواه[4].

وقيل لثالث: من الصديق؟

قال: من تسهد طرفه لك عن ضمير بالوفاء والود، فإنَّ

(١) إرشاد القلوب ص ٧٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٩٤/ ١٨٧٩.

(٣) الصداقة والصديق ص ٨٨.

(٤) الصداقة والصديق ص ٩٠.

العين أنطق من اللسان، وأُوقد من النيران[1].

وبعد معرفة الصديق.. ترىٰ من هم الجديرون بالصداقة؟

وإذا صادفنا في حياتنا الكثيرين من الأصدقاء، فمن نختار منهم، لكي يكونوا إخواننا في الحياة؟

والجواب:

بما أن للصديق الأثر الكبير على الإنسان، فلا بد أن نختار من تكون تأثيراته محمودة. فليس المطلوب أن نبحث عن أي صديق وإنما المطلوب أن نبحث عن الصفات التي يتمتع بها هذا الصديق، أي لا بد من البحث عن الصفات التي نحتاج نحن إليها، ثم نبحث عمن يحمل هذه الصفات فنصادقه.

فما هي تلك الصفات؟

والجواب: أنها كالتالي:

أولاً ـ العلماء

كل الروايات تؤكد على ضرورة اختيار العلماء أصدقاء الحياة، سواء كانوا علماء الدين أو علماء الطبيعة، لأنك حينما تجالس العلماء فلا بد أن تسمع منهم ـ على الأقل ـ ما

---

(١) الصداقة والصديق ص ١٨٧.

يعلمونه، فلا يضيع وقتك معهم، والحديث الشريف يقول: «خذ العلم من أفواه الرجال»[1].

يقول الإمام علي عليه السلام:

«خير من صاحبت ذوو العلم والحلم»[2].

ويقول أيضاً:

«عَجِبْتُ لِمَنْ يَرْغبُ في التَّكَثُّرِ مِنَ الأصحَابِ، كَيْفَ لا يَصْحَبُ العُلمَاءَ الأزْكياء والأتقيَاءَ الَّذِينَ يَغنِمُ فَضَائِلَهُمْ وتَهَدِيهِ عُلُومُهُمْ وَتُزَيِّنُهُ صُحْبَتُهُم»[3].

ويقول عليه السلام:

«يَنْبَغيْ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكْثُرَ مِنْ صُحْبَةِ الْعُلَمَاءِ والأَبْرَارِ ويَجْتَنِبَ مُقَارَبَةَ الأَشْرَارِ والفُجَّارِ»[4].

ويقول أيضاً:

«من خالط العلماء وُقّر»[5].

وفي حديث آخر: «اعلموا أن صحبة العالم، واتباعه،

---

(١) عوالي اللئالي ٤/ ٧٨.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٣٥٠/ ٤٣.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٣٧/ ٢٩.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٣٧٤/ ٢٨.
(٥) تحف العقول ص ٦٥.

دين يدان به، وطاعته مكسبة للحسنات، ممحاة للسيئات، وذخيرة للمؤمنين، ورفعة في حياتهم وفي مماتهم، وجميل الأحدوثة عند موتهم»[1].

ويتضح من هذا الحديث الشريف، أن مصادقة العلماء أمر ديني، وإن كانت تتضمن أيضاً بعض المكتسبات الدنيوية.

وفي حديث آخر: «من مشى إلى العالم خطوتين.. وجلس عنده لحظتين.. وسمع منه مسألتين.. بنى الله له جنتين.. كل جنة أكبر من الدنيا مرتين»!.

ويقول لقمان الحكيم «يا بني! عليك بمجالسة أهل الذكر فإنها محياة للعلم وتحدث في القلوب خشوعاً»[2].

إننا كثيراً ما نرى أن بعض الأفراد لا يعلمون المسائل الشرعية، ولربما بقوا سبعين عاماً وهم يؤدون عباداتهم بطريقة غير صحيحة، ولكنهم يجالسون عالماً لمدة قصيرة، فيسمعون منه مسألة فيصحح لهم أعمالهم.

هذه هي الفائدة الدينية، من مخالطة العلماء ومصادقتهم، أما الفائدة الدنيوية فهي: «رفعة في حياتهم وفي مماتهم، وجميل الأحدوثة عند موتهم».

ألا نجد أن التاريخ خلّد الكثيرين من الذين كانوا

---

(١) روضة الواعظين ١/ ٥.

(٢) مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ٢٦٥.

مرشحين لكي يكونوا في قائمة المنسيين.. لأنّهم صاحبوا العلماء والعظماء؟ ألا نجد مثلاً أن الذين صحبوا رسول الله ﷺ، أصبحوا متميزين بأنهم من «صحابة النبي» بعد وفاة رسول الله؟.

وهكذا فإن مصادقة العالم، مفخرة للإنسان، سواء في حياته، أم بعد موته.

يقول رسول الله ﷺ: «أن العلماء ورثة الأنبياء، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكنهم ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر»[1].

وقد جاء في المروي عن لقمان قوله: «من يجالس العلماء يغنم»[2].

وقوله: «يا بني.. جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، «فإن الله يحيي القلوب بذكر الحكمة، كما تحيا الأرض بوابل السماء»[3].

فحتى لو كان مجلس العالم غاصاً بأهله، فلا تتردد في أن تدخل بينهم، وتزاحمهم بركبتيك، لأن في مزاحمتهم تكتسب الحكمة التي تحيي قلبك كما يحيي المطر الأرض الجدباء.

---

(١) روضة الواعظين ١/ ٩.
(٢) إرشاد القلوب ص ٧٢.
(٣) مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ٢٧٢.

ويقول أحد الحكماء: «جالسوا العلماء: أصدقاء كانوا أم أعداء، فإن العقول تلقح العقول»[1].

يقول رسول الله ﷺ:

«إن الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم، رِضاً بما يطلب»[2].

ثانياً ـ الحكماء

الحكماء هم الفئة الثانية التي يجب مصادقتهم لأنهم يمتلكون التجارب الكثيرة، ويفهمون نواميس الحياة.

وليس من الضروري أن يكون الحكيم عالماً، بل المقصود، من صقلته تجارب الحياة، وصنعت منه إنساناً متزناً.

يقول رسول الله ﷺ:

«سائلوا العلماء، وخاطبوا الحكماء، وجالسوا الفقراء»[3].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«صَاحِب الحُكَماءَ، وجَالِسِ الحُلمَاء، وأَعْرِضْ عنِ الدُّنيا

---

(١) تحف العقول ص ٣٢٣.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٥٠.

(٣) تحف العقول ص ٣٤.

تسكن جَنَّةَ المَأْوىٰ»[1].

ويقول لقمان الحكيم: «يا بني!.. جالس الحكماء وارض بقولهم، تزدد حكمةً»[2].

يقول الإمام علي عليه السلام: خُذ الحِكمَةَ أَنّىٰ كانت فإنَّ الحِكمَةَ ضَالَّةُ كلَ مؤمن»[3].

فالحكيم يعطيك المشورة الجيدة، في شؤون حياتك.. والحكمة ضآلة المؤمن يأخذها أينما يجدها ـ كما يقول الإمام علي عليه السلام ـ بل وقد أُمرنا بأن نأخذ الحكمة، حتى ولو من أفواه المجانين».

ويقول: «مجالسة الحُكماءِ حياة العقول وشفاء النفوس»[4].

ولقد صرح القرآن الكريم في آيات عديدة، أن تعليم الحكمة كان من أهداف إرسال الأنبياء إلى الناس.

يقول الله تعالى: **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾**[5].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ١/٤١٤/٢٨.

(٢) مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ٢٦٥.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ١/٣٥٤/٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٢٨٨/١٦٠.

(٥) سورة الجمعة، آية: ٢.

ثالثاً: العقلاء

يقول الإمام علي عليه السلام: «عداوة العاقل خير من صداقة الجاهل»[1].

لأن الجاهل يريد أن ينفعك فيضرك، وربما يكون طيِّب القلب، ويسعى لخدمتك لكنه يفسد عليك عملك. والصديق الجاهل هو السفيه الذي يفسد أخلاقك.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«لا تَصْحَبْ مَنْ فاتَهُ العَقْلُ، ولا تصطنِعْ من خانَهُ الأَصْلُ، فإِنَّ مَنْ لا عَقْلَ لَهُ يَضُرُّكَ مِنْ حَيْثُ يَرىٰ أَنَّهُ يَنفَعُكَ، وإِنَّ مَنْ لاَ أَصْلَ له يُسيءُ إِلى مَنْ أَحْسَنَ إليه»[2].

ويقول عليه السلام: «لا تَصْحَبنَّ مَنْ لا عَقْلَ لَهُ»[3].

وقد جاء في الحديث «فساد الأخلاق معاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق معاشرة العقلاء»[4].

يقول الإمام علي عليه السلام: «لا تَصْحَبْ إلا عاقِلاً، ولا تعاشِرْ إلا عَالِماً زكياً، ولا تُودِعْ سِرَّكَ إلاَّ مُؤمِناً وفياً»[5].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٣٩/١٠.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٣٣٦/٢٣١.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٣١٩/١٦.
(٤) بحار الأنوار ٥/٢٩٨.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٣٣٨/٢٤٣.

والصحبة هي أوثق من المخالطة، لأن المخالطة قد لا تعني تبادل الآراء والأفكار والعواطف، بينما الصحبة تعني الأخذ والعطاء في ذلك كله.

فـ «عمارة القلوب في معاشرة ذوي العقول»[١]:

كما يقول الإمام علي عليه السلام:

ويقول عليه السلام: «صاحِبْ العُقلاءَ، وجالس العلماءَ، وأغْلِبِ الهوىٰ تُرافِقِ الملأَ الأعلىٰ»[٢].

ويقول أيضاً: «صاحب العُقلاءَ تغنم»[٣].

وحديث آخر يقول: «مصاحبة العاقل مأمؤنة»[٤]. . لأن «مَنْ لم يكمل عقله لم تؤمن بوائقه»[٥] «ولا يوثق بعهد مَنْ لا عقلَ له»[٦].



رابعاً ـ الزهاد

الطائفة الرابعة الجديرة بالصحبة والصداقة، هم الأبرار من الاتقياء والزهاد، الذين يذكّرونك بالآخرة ويدفعونك إلى الالتزام بالتقوى والإخلاص.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٤١/ ٢٨.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٤١٤/ ٢٧.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ٤١٣/ ٢٥.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم/ ١٠٧٠.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم/ ١٠٦٠.
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم/ ١٠٨٩.

يقول الحديث الشريف «ليكن جلساؤك الأبرار، وإخوانك الاتقياء والزهاد، لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلاّ المتقين﴾[1].

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «احذر أن تواخي من أرادك لطمع أو خوف أو ميل أو مال أو أكل أو شرب، واطلب مؤاخاة الاتقياء ولو في ظلمات الأرض، وإن أفنيت عمرك في طلبهم، فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض أفضل منهم بعد النبيين، وما أنعم الله تعالى على العبد بمثل ما أنعم به من التوفيق بصحبتهم»[2].

وجاء في الحديث أيضاً: «إذا رأيتم الرجل قد أعطي الزهد في الدنيا، فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة»[3].

وفي حديث آخر: «مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة.. مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل»[4].

ولكن ما معنى الزهد؟..

إن الزهد ليس هو التملص من المسؤوليات الاجتماعية

---

(١) سورة الزخرف، آية: ٦٧.
(٢) مصباح الشريعة ص ١٥٠ ـ ١٥١.
(٣) الفضيلة الإسلامية ص ١١٨.
(٤) أصول الكافي ١/ ٣٩.

والسياسية أو الاعتزال عن الناس فالزاهد ليس هو الفقير المعدم، الذي لا يجد قوتاً يسدّ به رمقه. وإنّما للزهد مفهوم خاص لا نحدده نحن، بل يحدده المطالبون به.

فالزهد ليس أن لا يملك الإنسان شيئاً، بل أن لا يمتلكه شيء، فليس هو أن لا تملك المال بل أن لا يمتلكك المال. ومن هنا فليس كل فقير زاهداً، إذ لعل الفقر يفرض على الإنسان نوعاً من الزهد دون اختيار منه. والزاهد لا يُميّز عن غيره إلا إذا امتلك المال بالفعل، تماماً كالسبّاح الماهر الذي لا تُعرف قدرته على السباحة إلاّ إذا دخل الماء، وهكذا فإن الغنى و الفقر لا يحددان صفة الزهد عند الإنسان، بل الذي يحدد ذلك هو علاقة الإنسان بذلك.

يقول رسول الله ﷺ وهو يوصي أبا ذر:

«إذا رأيت أخاك قد زَهِدَ في الدنيا فاستمع منه، فإنَّهُ يلقَّنْ الحكمة»[1].

ويقول ﷺ: «ما زهد عبد في الدنيا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه، وانطقَ بها لسانَهُ، وبصَّرهُ بعيوب الدنيا ودائها ودوائها وأخرجه منها سالماً»[2].

ويقول الإمام علي عليه السلام: «كُونوا مِمَّنْ عَرِفَ فَناءَ الدُّنْيَا فَزِهدَ فيها، وَعَلِمَ بقَاءَ الآخِرةِ فَعَمِلَ لها»[3].

---

(١) (٢) مكارم الأخلاق ص ٤٦٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/١٠٨/ ٦٠.

فالزهد ـ إذن ـ هو أن يكون صاحبه فوق المال والجاه والمنصب لا أن يكون فاقداً لها.

يقال أن رجلاً من خراسان قرأ كتاب «مجموعة ورام» وهو كتاب نصائحي يوحي بالتقوى والزهد. فتأثر بالكتاب، ولكنه لم يفهم الزهد على حقيقته فأخذ يوزّع أمواله في سبيل الله، حتى فقدها كلها وأصبح معدماً.

ثم قرر أن يزور صاحب الكتاب، الذي ترك عليه هذا الأثر، فقصده من خراسان إلى النجف الأشرف، وهناك سأل عن هذا العالم الجليل فدلوه على بيته.

وفوجىء الرجل أن بيت صاحب الكتاب يشبه القصر وظن أن الناس أخطأوا في اسم العالم، لكنه للتأكد طرق الباب فجاءه صاحب الدار وسأله بعد التحية: هل أنت مؤلف كتاب «مجموعة ورام؟».

قال: نعم.

قال: جئت لأزورك.

قال له: تفضل، وهداه إلى غرفة الجلوس.

وحينما دخل وجد الغرفة راقية وجاءوا إليه بالغذاء، فإذا بالسَّفرة مليئة بالأطعمة المختلفة.. وهنا اندهش صاحبنا وقال:

ـ: عفواً، لقد قرأت كتبك فتأثرت بها، ووزعت ما عندي من أموال للفقراء والمساكين حتى عدت فقيراً معدماً،

وقصدتك من خراسان لأرى زهدك، لكني وجدت بيتك كبيوت الوجهاء، ولباسك لباس الأشراف، وطعامك طعام الأغنياء، فهل كنت بذلك تخادع نفسك وتكذب على الناس؟.

قال: لا أبداً، إني صادق مع نفسي.

قال: أتؤمن بما ذكرته في كتابك؟

قال: بلى.. أنا مؤمن بكل ما جاء في كتابي.

قال: فما هذه الحال التي وجدتها عندك؟

قال: حسناً، دعنا الآن نترك كل ما نملك.

ونذهب سوية إلى الصحارى والقفار، تاركين الدنيا لأهلها فهل أنت موافق على ذلك؟

فوافق الرجل على ذلك، وخرجا معاً حتى ابتعدا ما يقارب المائة كيلومتر عن النجف فتذكر الضيف أنه نسي مسبحته في بيت العالم فطلب من صاحبه الرجوع لأخذ المسبحة، فقال له العالم:

ـ «إن لي بيتاً وأهلاً وأموالاً وأصدقاء، وقد تركتهم جميعاً في لحظة واحدة دون أن أطالب بالرجوع، لكنك نسيت مسبحتك، فأردت أن تعود بنا إلى الدار حتى نأخذها؟! فهل هذا هو الزهد؟ إنني أستطيع أن أتخلص من كل ما أملك في لحظة، لأنه لا يملكني شيء بل أنا أتصرف فيها كيفما أشاء».

وأضاف: «يا هذا، ليس الزهد أن لا تملك شيئاً. وإنما الزهد أن لا يملك شيء».

وهكذا أعطاه درساً في الزهد لا ينسى!.

إن الإمام الحسين عليه السلام كانت عنده أملاك كثيرة من بيوت وأثاث وأموال وبساتين، لكنه تركها جميعاً في لحظة واحدة عندما قرر الخروج من المدينة إلى الكوفة. وكان له أولاد كالورود، ولكنه ضحى بهم خلال نهار واحد، وهذا هو الزهد الحقيقي.

إذن فاختيارك الزاهد كصديق، لا يعني أن تختار الفقير الذي لا يملك شيئاً.. وإنما الذي لا تملكه الأشياء، سواء كان غنياً أو فقيراً.



خامساً ـ أصحاب الفضيلة

الفئة الخامسة، التي يجب أن يختارها الإنسان للصداقة، هم الكرام الملتزمون بالفضائل والمناقبيات.

يقول الحديث الشريف «أسعد الناس من خالط كرام الناس»[1].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ١/١٩٣/ ٢٧٥.

ويقول الإمام علي عليه السلام: «معاشرة ذوي الفضائل حياة القلوب»[1].

ويقول أيضاً: «عاشر أهل الفضائل تسعد وتنبل»[2].

فإذا أردت أن تصبح «نبيلاً» فرافق أهل الفضائل والنبل، لأن الأخلاق الكريمة تنتقل إلى الإنسان لا شعورياً، ومن عاش في وسط جماعة خيّرة فسرعان ما يصبح مثلهم.

يقول لقمان الحكيم: «من خير حظ المرء قرين صالح، فقارن أهل الخير تكن منهم، وباينْ أهل الشر تَبنْ عنهم»[3].

سادساً ـ أصحاب الوفاء

قد تجد من حولك أصدقاء كثيرين، ولكن ليس بالضرورة أن يكونوا أوفياء، بل أن البعض إنما يتقرب إليك من أجل مالك أو مقامك، فهو مخلص لمالك ووفيّ لمقامك. إنه صديق بطنه وشهوته، وحالماً ينتقل مالك إلى إنسان آخر، تجده ينتقل منك لصحبة صاحب المال فهو رفيق المال يذهب أينما ذهب، أمّا أصدقاء الوفاء فإنهم يختلفون عن ذلك.

يقول الإمام علي عليه السلام: «عَلَيْكَ بإِخْوَانِ الصَّفا فإِنَّهُمْ زِينةٌ على الرخاءِ وعَوْنٌ في البلاء»[4].

---

(١) غرر الحكم/ ٢٨٨٣.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٤١/ ٢٧.

(٣) مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ٢٧٨.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٢١/ ٤٧.

فالصديق المخلص زينة لك عندما تعيش في الرخاء، وحينما تبتلى بالشدة لا يتخلى عنك، بل يعصمك من الزلل والسقوط ويقدم لك كل العون والمساعدة..

يقول الإمام علي عليه السلام: أخوك، أخوك الذي لا يخذلك عند الشدة، ولا يغفل عنك عند الجريرة، ولا يخدعك حين تسأله ولا يتركك وأمرك حتىٰ يعلمه فإن كان مميلاً أصلحه»[1].

وقيل لابن برد: «مَنْ الصديق؟».

قال: من سلَّم سرَّه لك، وزيَّن ظاهره بك، وبذل ذات يده عند حاجتك، وعف عن ذات يدك عند حاجته، يراك مُنصفاً وإن كنتَ جائراً، ومفضلاً وإن كنت ممانعاً، رضاه منوطٌ برضاك، وهواه محوط بهواك، إن ضللتَ هداك، وإن ظمِئتَ أرواك، وإن عجزت آداك[2]، يبين عنك بالجسم والرسم، ويشاركك في القَسْم والوَسْم[3]»[4].

ولأن الروايات تؤكد على امتحان الصديق قبل اختياره، فتستطيع أن تتظاهر أمامه مثلاً أنك في حالة شدة وتنظر ماذا يفعل لك.. هل يساعدك؟ أم يهرب منك؟ وهل يتبرأ منك، ويتنكر لك؟ أم يسعى لخدمتك ومساعدتك؟

---

(١) بشارة المصطفىٰ ص ٢٦.

(٢) آدىٰ على فلان: أعداه وأعانه.

(٣) القسم: الخلق والعادة. الوسم: العلامة.

(٤) الصداقة والصديق ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

قيل لعدي بن حاتم: «ما أثقل الأشياء عليك؟
قال: اختيار الصديق، ورد السائل، ومسألةُ اللئيم»[1].

إنّ صديقك الحقيقي هو الذي يقف سنداً لك حينما تقع في الخطأ والجريرة. فمن جهة ينصحك ويوجهك، ومن جهة أخرى يدافع عنك، ويتبرع لك بماله، إذا كانت جريرتك بحاجة إلى المال.

يقول الإمام موسىٰ بن جعفرعليه السلام:

«خير إخوانك المعين لك على دهرك.. وشرهم مَنْ سعىٰ لك بسوق يومه»[2].

ويقول الإمام الحسنعليه السلام: «إن المؤمن شعبة من المؤمن، يحزن لحزنه، ويفرح لفرحه، وهو مرآة أخيه، إنْ رأىٰ منه ما لا يعجبه قوَّمه وسدّدهُ، ووجهه، وحاطه في السر والعلانية، إن لك من خليطك نصيباً، وإن لك نَصيباً من ذكر مَنْ آخيت، فاختاروا الإِخوان والأصحاب والمجالس»[3].

كما أن صديقك هو الذي يعطيك المشورة الجيدة، ينصحك بقلب نقي وصدق صفي، وقد جاء في الحديث الشريف: «من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم

(١) الصداقة والصديق لابن حيان ص ٣٠١.
(٢) الصداقة والصديق لابن حيان ص ٢٥٦.
(٣) الصداقة والصديق لابن حيان ص ٣٠١.

يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته».

فابحث عن صديق لا يظلم الناس ولا يبخسهم أشياءهم.

فتش إذن عن الصديق الذي لا يكذب على الناس، لأن «الكذاب والميت بمنزلة سواء» فهل يمكنك أن تصادق الميت؟.. إن الكذاب بمثابة الميت.

يقول الإمام الكاظم عليه السلام: إياك ومخالطة الناس والانس بهم إلا أن تجد منهم عاقلاً ومأموناً فآنس به واهرب من سايرهم كهربك من السباع الضارية[1].

واختر الصديق الذي إذا وعدك لم يخالف وعده فإذا ما وجدت تلك الصفات في صديقك فقد كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته.



سابعاً - أصحاب الأخلاق الكريمة

الفئة السابعة التي يجدر بنا الصداقة معهم هم أصحاب الأخلاق الكريمة.

(١) تحف العقول ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

والمعروف أن الصفات الحسنة عند الإنسان إنما هي ثمار لشجرة كبيرة فاضلة، ويؤكد على ذلك الإمام علي عليه السلام بقوله: «إذا رأيتم في أحد خلة ففتشوا عن مثيلاتها»[1].

من هنا يكفي أن تكتشف في زميلك، صفة واحدة حسنة لكي تتخذه صاحباً وخليلاً، لأن تلك الصفة سوف تجرّ مثيلاتها إليه.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا تجلسوا إلا عند كل عالم، يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين.. ومن الرياء إلى الإخلاص.. ومن الرغبة إلى الرهبة.. ومن الكبر إلى التواضع.. ومن الغش إلى النصيحة»[2].

فلا تصادق الشكاك في أمور الدين والدنيا بل صادق الذي يرفعك من موقع الشك إلى اليقين.

ولا تصادق من يحقر الناس، ويتكبر عليهم، بل صادق الذي يأخذ بيدك دوماً إلى التواضع. ولا تصاحب الذي يعادي الناس فيغتابهم ويكيل الشتائم لهم لأنك إذا صادقته ستجد بعد فترة وجيزة أنه وضع على عينيك نظارة سوداء، بحيث لا ترى من الناس إلا الصفات السيئة.

---

(١) الهادي إلى موضوعات نهج البلاغة ص ٢٢٧.

(٢) اعلام الدين ص ٢٧٢.

إن في طبائع الناس مزيجاً من الصفات الجيدة والرديئة. فلماذا يأتي البعض ويضع عدسات مكبرة على الصفات الرديئة فقط وينفخ فيها؟.

يروى في هذا الصدد أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه ذات يوم.

«لا تكونوا كالذبابة. !

فتعجب الصحابة. وسألوا النبي ﷺ: وكيف نكون كالذبابة يا رسول الله؟.

قال النبي ﷺ: ألا ترون الذبابة: تترك الطيبات وتجلس على الخبائث؟».

فالذبابة تفضل الطعام الفاسد، على الطعام الصالح، وتأوي دائماً إلى صناديق القمامة، وهكذا يكون من يرى من الناس السيئات وحدها وينشر عنهم الرذائل ويشعر باللذة إذا كشف عن عوراتهم.. إنَّ مثل هؤلاء تجب مقاطعتهم، والابتعاد عنهم. بينما لا بد من صداقة أصحاب الفضائل والأخلاق الفاضلة ممن وصفهم رسول الله ﷺ بقوله:

«أصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت معونة أعانك، وإذا قلت صدّق قولك، وإن صلت شدّ صولتك، وإن مددت يدك بفضل مدّها، وإن بدت منك ثلمة سدّها وإن رأى منك حسنةً عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن

سكَّت عنه ابتداك، وإن نزلت بك إحدى الملمّات وآساك، من لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عنه الحقائق وإن تنازعتما آثرك».

ويقول عبد الله بن جعفر لصديق له:

«إن لم تَجدْ من صحبة الرجال بدّاً فعليك بصحبة من إذا خَفَفْتَ له صانك، وإن احتجت إليه مانك، وإن رأىٰ منك خِلةً سدّها، أو حسنة عدَّها، وإن وعدك لم يَخرِصكَ، وإن كبرت عليه لم يرفضك، وإن سألته أعطاك، وإن أمسكت عنه ابتداك»[1].

إن هذه الصفات الكريمة، والأخلاق الفاضلة تحتم عليك مصاحبة من يتحلى بها.

إذن، فالصديق ـ كل الصديق ـ هو الذي يجعل من صداقته زينة لك، ويصونك حينما تخدمه، ولا يجعلك عرضة للذلة والهوان، ويعينك في الشدة والرخاء، ويصدقك في قولك ولا يكذب حديثك. وهو الذي إن خضت حرباً شدَّ صولتك وآزرك، وإذا أسديت له خدمة، رد عليك الجميل بالمثل. وإن بدت منك ثلمة سدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وليس هو الذي يجعل من عثرتك «بوْقاً» ينفخ فيه، بل يسترها كما سترها الله عليك.

---

(١) الصداقة والصديق ص ١٩١.

ترى: هل الإنسان مكلف أن يظهر ذنوب أخيه؟ أو يستعرض على الناس في النهار كل سيئة رآها منه في جوف الليل؟

إن هذا هو عين الفاحشة التي ينهانا الله تبارك وتعالى عن إشاعتها بقوله: **﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾**[١].

يقول محمد بن الفضيل: قلت للإمام أبي الحسن موسى عليه السلام: «جعلت فداك الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكره، فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقاة»؟

فقال عليه السلام لي: ـ «يا محمد كذّب سمعك وبصرك عن أخيك فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم، ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه به، وتهدم به مروته، فتكون من الذين قال الله عز وجل: «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة»[٢].

وعلى النقيض تماماً: يجب علينا أن ننشر عن الأصدقاء فضائلهم وحسناتهم وكما الفراشة تشيع جمالاً وعطراً فإن نشر

---

(١) سورة النور، آية: ١٩.

(٢) حلية المتقين ص ٥٠٦.

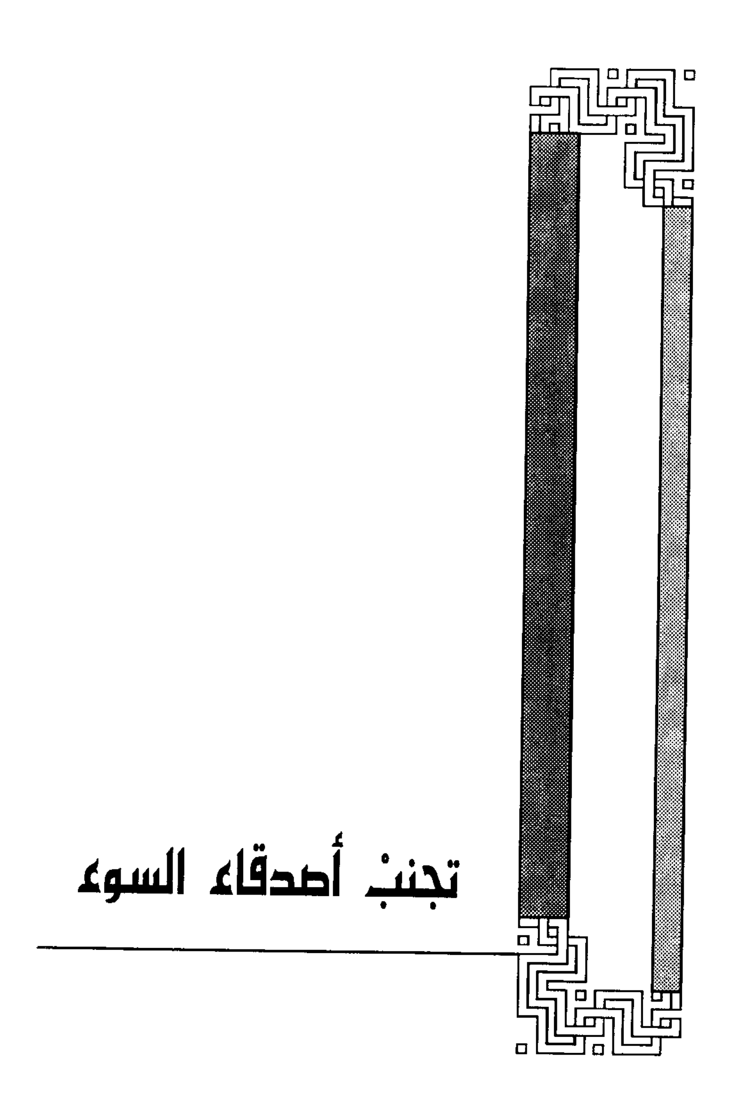
الحسنات وذكر الفضائل يدفع الناس إلى التحلي بها تماماً كما أن نشر الفاحشة يفقدها قبحها في أذهان الناس، ويجعلها عادية في نظرهم مما يدفعهم إلى ارتكابها.

وصديقك أيضاً من: «إن سألته أعطاك، وإن أمسكت عنه ابتداك»[1].

قد نجد كثيراً من الأصدقاء لا يترددون في العطاء حينما يسألون، ولكن من القليل أن تجد من يبادر في السؤال عن أخيه، لكي يساعده في محنته وشدته. ومثل هؤلاء من أفضل وأنفع من يمكننا عقد الصداقة معهم.

---

(١) مستدرك الوسائل ٨/ ٢١١/ ٩٢٧٨.



تجنبْ أصدقاء السوء

قال الإمام علي عليه السلام:

«يا بُنيّ إياك ومُصادَقةَ الأَحمقِ، فإنه يُريدُ أَنْ يَنفعَكَ فَيضُرُّكَ..

«وإياك ومُصادَقَةَ البخِيلِ، فإِنَّهُ يَبعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ ما تَكُونَ إليهِ..

«وإياكَ ومصادقة الفاجر فإِنَّهُ يَبيعُكَ بالتافه.

«وإياك وَمُصادَقةَ الكذّابِ، فإِنَّهُ كالسراب، يُقرِّبُ عَليكَ البعِيدَ، ويُبعِدُ عَلَيْكَ القرِيبَ»[1].

وهكذا فإن الأحمق، والبخيل، والفاجر، والكذاب أربع فئات في المجتمع لا تصح مصادقتهم..

وحينما يُطلب منا أن لا نصادق هؤلاء، فليس ذلك من

(١) نهج البلاغة ٤/١١.

مصلحتنا فحسب، وإنما من مصلحة المجتمع، ومصلحتهم هم أيضاً.

أما مصلحتنا فهي واضحة، وستتضح أكثر عندما نسلط الأضواء على هذه الفئات في الأسطر القادمة، وأما أنه من مصلحة المجتمع فلأن المجتمع الصالح هو الذي يُطهّر نفسه من الفاسدين، ومن الطبيعي أن تخرج هذه الفئات من دائرة التأثير في المجتمع، وتقذف إلى العزلة، تماماً كالماء الجاري الذي يقذف الأوساخ على جانبي النهر، ليطهر الماء بعضه بعضاً.

وهذا يعني أن تكون العادات الاجتماعية في هذا الوسط، تساعد على دفع الصالحين نحو النمو والتقدم، وفي ذات الوقت تكون عائقاً أمام توسع المفسدين، وعاملاً لضمورهم وعزلهم عن الناس.

لذا فإن الأحمق، والبخيل، والفاجر، والكذّاب.. لا يستطيعون العيش في المجتمع السليم ويعزلون عنه حين لا يجدون من يسلم عليهم، ولا من يصادقهم أو يثق بهم، إلا إذا غيروا من صفاتهم وأصلحوا ما بهم..

أما المجتمع الذي يُصادق فيه البخيل، والكذاب، والفاجر، والأحمق. فإنه سينمي هؤلاء، ويغذي عاداتهم وطبائعهم، ومن ثم قد يرتقي أحدهم إلى سدة الحكم، فينشر سلوكه بين الناس فيعم الفساد في كل مكان، بينما مقاطعتهم

قد يدفعهم إلى تغيير ما هم عليه، ومجاراة الصالحين في أفعالهم، فالبخيل حينما لا يجد صديقاً، سيحاول أن يكون كريماً، وكذلك الأحمق والكاذب والفاجر، وهذا مكسب حضاري كبير.

بينما لو عامل المجتمع، البخيل والكريم بمنزلة سواء، فإن ذلك سيكرّس بخل البخيل، ويشح كرم الكريم، حينها سينجرف المجتمع إلى واقع الرذيلة والانحطاط. وسيكون المسؤول الأول والأخير، والمتحمل للنتائج الوخيمة هو المجتمع نفسه.

ولقد توصل الإنسان إلى فكرة الاستفادة من السجن، لكي يعزل من يخشى خطرهم، ولكن المجتمع السليم هو الذي يبعد المخربين منه دون أن يضعهم في أقفاص حديدية. وذلك عبر عزلهم طبيعياً عن المجتمع.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن المجتمع ـ أي مجتمع ـ يتكون بطبيعة الحال من قسمين، قسم صالح وقسم فاسد، فإن أهم دعامة لنمو الفئة الصالحة، وضمور الفئة الفاسدة، تكون في مصادقة الفئة الصالحة لبعضهم البعض، والإعراض عن إقامة أي علاقة مع الفئة الثانية.

ولأن الفئة الثانية بطبيعتها ممزقة، إذ الفاسد لا يحب البخيل، والبخيل يكره الكذاب، والكذاب أيضاً لا يرتاح إلى البخيل.. لهذا فإن هذه الفئة محكوم عليها بالانقراض من

المجتمع، عندما تستخدم الفئة الصالحة معها تعليمات الإمام علي عليه السلام بشأن المصادقة.

إن المصادقة تعني أن يرافق الإنسان قرناءه في الحياة، لكي يستفيد منهم، ويفيدهم في المجال الذي يشاركهم فيه، ومصادقة هذه الفئات الأربع لا يُرجىٰ منها الخير، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

إن صديقك عامل ضغط عليك، يؤثر عليك كما تؤثر عليه، ومن المسلّم به في المصادقة أن تنتقل طبائع الأصدقاء من بعضهم لبعض بشكل تدريجي وعميق، يزداد بمرور الليالي والأيام.

بل أن مجرد الجلوس مع إنسان، يسبب التداخل مع مشاعره، فقد تجلس مع إنسان ويدور بينكما حديث فتود أن تطرح فكرة أو قصة أو كلمة، وإذا به يطرحها ذاتها. وقد تفتح عينيك مستغرباً من التوافق بين ما خطر على بالك وما خطر على باله، إلا أن ذلك ليس غريباً، وقد أكّد ذلك العلم الحديث في عدة بحوث. فالأرواح تتلاقى ويؤثر بعضها في بعض، من دون ما حاجة إلى التكلم فيما بينها.

من هنا فإن الإسلام يرى أن مجرد الجلوس على مائدة يشرب فيها الخمر حرام. لأنها ستؤثر على من لا يشرب أيضاً، ويحذر أيضاً من مجالسة من يحمل الحقد والشر والصفات السيئة، حتى لو كنت ترتاح إلى مجالسته، لأنه سينقل لك صفاته بالرغم منك.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«قارن أهل الخير تكن منهم، وباينْ أهل الشر تبن عنهم»[1].

فإذا أردت أن تكون صالحاً، إذهب إلى مجتمع الصالحين، وعش بينهم، وإذا أردت أن تكون عالماً إبحث عن العلماء وجالسهم، وإذا أردت أن تصبح سياسياً فقارن مجموعة من السياسيين، وإذا أردت أن تكون تاجراً فصادق التجار فسوف تتعلم منهم التجارة.. وهكذا.

فالإنسان يكتسب مختلف الصفات من محيطه الذي يعيش فيه، أكثر مما يكتسب من الكتب، والمجلات.

وحتى يبعدنا الإسلام عن دوائر الضغط السلبي، يحذرنا من الجلوس والاستماع إلى الذين يستهينون بآيات الله.

يقول الله تعالى في القرآن الحكيم:

﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾[2].

وقد يقول أحدهم أني أجالس المنحرفين، ولكنني لا أكتسب منهم ما هم فيه.

---

(١) نهج البلاغة ٢/٣٨.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٦٨.

غير إن هذا الكلام ليس صحيحاً حتماً لأن الإنسان ليس جداراً، بل هو بشر يؤثر فيه محيطه، ويؤثر هو فيه، شاء ذلك أم أبى.

وإذا كان من يجلس مع الورد يحمل معه ريحاً طيبة منه، فإنّ من يجلس في مزبلة يحمل معه ريحاً نتنةً منها أيضاً، فكيف بمن يعيش مع الناس، أفلا يحمل الصديق بعض ما يتصف به صديقه؟!.

وقد ورد عن أحد المعصومين: «من عاشر قوماً أربعين يوماً تأثر، ولو بمعشار أخلاقهم».

إن القرآن الكريم يتحدث عن الذين يشكون يوم القيامة أصدقاءهم الذي طمسوا على أعينهم وأسماعهم ومنعوهم عن ذكر الله، فيضجّون في نار جهنم، ولات حين مناص.

يقول تعالى:

﴿يوم بعض الظالم على يديه، يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾[1].

﴿يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾[2].

وفي ذات الوقت نرى أن القرآن يؤكد على ضرورة الصبر

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٢٧.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٢٨ ـ ٢٩.

مع الصالحين، ومصادقة الأبرار، فقد تعيش مع أناس مؤمنين، ولكنك قد لا تطيق خشونة حياتهم، وجشب معيشتهم، إلا أن الله يطلب منك الصبر معهم، لأنك ستتعلم منهم الإيمان والعمل الصالح.

يقول تعالى:

﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾[1].

من هنا يحث رسول الله ﷺ أصحابه على الابتعاد عن مجالسة الجهال فيقول:

«أحكم الناس مَن فرَّ من جهّال الناس»[2].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

فلا تصحب أخا الجهل	وإيّاك وإيّاهُ
فكم من جاهل أردى	حليماً حين آخاهُ
يُقاس المرءُ بالمرءِ	إذا ما المرء ما شاهُ
وللشيء من الشيءِ	مقاييسٌ وأشباهُ
وللقلب على القلبِ	دليل حين يلقاه[3]

وقد ورد عنه عليه السلام:

---

(١) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٢) كلمة الرسول الأعظم ص ١١٨.

(٣) احياء علوم الدين ٣/ ١٥٥.

«مصاحبة الجاهل من أعظم البلاء»[1].

وحتى نعرف ذلك النوع الذي لا بد من تجنب مصادقته، يقول رسول الله ﷺ:

«يظلم من خالطه، ويتعدىٰ على من هو دونه، ويتطاول على من هو فوقه، كلامه من غير تدبر، إن تكلم أثم، وإن سكت سها، وإن عُرضت له فتنة سارع إليها، وإن رأى فضيلة أعرض وأبطأ عنها، لا يخاف ذنوبه القديمة ولا يرتدع فيما بقي من عمره من الذنوب، يتوانىٰ عن البرّ ويبطىء عنه، غير مكترث لما فاته من ذلك أو ضيّعه، فتلك عشر خصال من صفة الجاهل الذي حُرِمَ العقل»[2].

مثل هذا لا بد من مقاطعته لأنه لن ينفع جلسائه بخير.

أما بالنسبة للمشتبه بهم، الذين لا يعرفهم الإنسان، أمن الصالحين هم أم من الطالحين، فيقول الإمام علي عليه السلام بشأنهم:

«من اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه، فانظروا إلى خلطائه»[3].

انظر لترى مع من يختلط هذا الشخص، ومع من يعيش،

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٢٨٢/٧٦.

(٢) تحف العقول ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) صفات الشيعة ٦/٩٤.

فإن ذلك سيدلك على سجيته وسلوكه، فإن كان أصدقاؤه صالحين فهو صالح، وإن كانوا طالحين فهو مثلهم.

وقد يتساءل المرء: ترى لو لم نجد في ظرف معين أحداً من الأبرار لكي تصادقهم، فماذا تفعل؟

والجواب: في هذه الحالة يمكنك أن تعتزل المجتمع، إذ الوحدة هنا أنفع من مصادقة المضرين.

وكما يقول رسول الله ﷺ:

«الوحدة خير من قرين السوء»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«من يصحب صاحب السوء لا يسلم»[2].

يقول الشاعر:

وصاحبُ السوء كالداء العَياء إذا ... ما ارفضَّ في الجلدِ يجري ها هنا وهنا
يجري ويخبر عن عَوراتِ صاحبه ... وما يرىٰ عنده من صالح دفنا
كَمُهْر سوءٍ إذا رفَّعت سيرته ... رام الجماحَ وإن خَفَّضته حَرَنا
إن يحي ذاك فكن منه بمعزلة ... وإن يمت ذاك لا تشهد له جَنَنَا[3]

والآن دعنا نتفحص ما الذي تحدث عند مصادقة الفئات

(١) أمالي الطوسي ص ٥٤٦، اعلام الدين ص ٢٩٤.
(٢) تحف العقول ص ٢٧٨.
(٣) الصداقة والصديق ص ٣٠٣.

التي حذّر الإمام علي عليه السلام في وصيته لابنه من مصادقتهم؟.

أولاً ـ مصادقة الأحمق

يقول عليه السلام: «يا بني إياك ومصداقة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك»[1] فالنتائج المترتبة على مصادقة الأحمق هي كالتالي:

أ ـ كنتيجة حتمية حسب نظرية التأثر بالأصدقاء فإن الأحمق سيورث حمقه لمن يصادقه.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«من لم يتجنب مصادقة الأحمق أوشك أن يتخلق بأخلاقه»[2].

ب ـ إن الأحمق لا ينفع من يصادقه، وحتى لو أراد أن ينفعه، فإنه يضرّه بسبب رداءة تفكيره.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «وإياك ومصادقة الأحمق فإنك أسرَّ ما تكون من ناحيته، أقرب ما يكون إلى مساءتك»[3].

وقد ورد في وصية ورقة بن نوفل لخديجة بنت خويلد: «أي بنية!. إياكِ وصحبته الأحمق الكذاب، فإنه يريد نفعكِ

(١) نهج البلاغة ٤/١١.
(٢) أمالي الصدوق ص ٢٢٢.
(٣) الكافي ٢/٦٤٢/١١.

فيضركِ، يقرّبُ منكِ البعيد، ويبعّد منك القريب، إن أئتمنته خانكِ، وإن ائتمنكِ أهانكِ، وإن حدثكِ كذّبك، وإن حدثته كذبك، وأنتِ بمنزلة السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئاً»[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«ينبغي للمسلم أن يتجنب مؤاخاة ثلاثة: الفاجر، والأحمق، والكذاب، فأما الفاجر فيزين لك فعله ويحبُ أنك مثله، ولا يعينك على أمر دينك ومعادك، فمقارنته جفاء وقسوة، ومدخله عار عليك.

«وأما الأحمق فإنه لا يشير عليك بخير، ولا يرجه لصرف السوء عنك ولو جهد نفسه، وربما أراد نفعك فضرك. فموته خير من حياته، وسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه.. وأما الكذاب فإنه لا يهنئك معه عيش، ينقُلُ حديثك وينقل إليك الحديث، كلما أفنىٰ أحدوثة مطاها بأخرىٰ مثلها حتىٰ أنه يحدِّث بالصدق فلا يصدق، يُغري بين الناس بالعداوة فيثبت الشحناء في الصدور فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم»[2].

ويعني ذلك أنه كلما اقتربت من الأحمق، وصادقته، كلّما كان سوءه أقرب إلى إصابتك.

---

(١) أمالي الطوسي ص ٣٠٨، الاختصاص للمفيد ص ٢٣٨.

(٢) تحف العقول ص ١٤٥.

ثم إن صفة الحمق تميت القلب وهي من نتائج مصادقة الأحمق، والجريان معه حيث ما جرى، وعندما يموت قلب الإنسان ويتخثر ضميره، فلن يتردد حينها عن ممارسة الإثم والجريمة والله أعلم أي واقع أسود ينتظر المجتمع الذي يزداد فيه الحمقىٰ.

يقول رسول الله ﷺ:

«أربع يمتن القلب:

«الذنب على الذنب، وكثرة مناقشة النساء، ومماراة الأحمق ـ تقول ويقول ولا يرجع إلى خير أبداً ـ ومجالسة الموتى»[1].

وعلى ضوء هذا الحديث فإن هنالك أربعة أمور تميت القلب:

أولا ـ تراكم الذنوب: من دون أن تلحقها التوبة.. أما مع التوبة، فإن القلب يعود إلى الحياة بها.

ثانياً ـ كثرة مناقشة النساء: فيما يرتبط بأمورهن، حيث أن جل اهتماماتهن، أمور تافهة، كالأقمشة والديكور والأصباغ، وهذا ما عليه غالبية نساء العالم.

ثالثاً ـ مماراة الأحمق والمناقشة معه. لأنك حينما

---

(١) عين الحياة ٢/ ١٦٥.

تناقشه سيتحول نقاشك معه إلى جدل بيزنطي، فأنت تقول وهو يرد عليك، ولن تتوصل إلى أي نتيجة، إذ الأحمق لا يهمه التوصل إلى الحق، بمقدار ما يهمه فرض رأيه، والخروج من معركة النقاش منتصراً.

رابعاً ـ مجالسة الموتى

ولقد قيل لرسول الله ﷺ:

ـ وما الموتى؟

فقال رسول الله ﷺ:

«كل غني مترف، هذا ميت الاحياء»[1].

والأحمق هو ذلك السفيه الذي ليس في قلبه علم ينفع، ولا حكمة فيه.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت إلا بذكر الله، وواحد في ترك مجالسة السفهاء»[2].

ويقول أيضاً عليه السلام:

«مقارنة السفهاء تفسد الخُلقَ»[3].

---

(١) عين الحياة ٢/١٦٥.

(٢) تحف العقول ص ٦٥.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٢٨١/٦٠.

وقد ورد عنه عليه السلام: «إحذر الأحمقَ فإنَّ مداراتَهُ تُعييك، وموافَقَتهُ تُرديك ومخالفَتَهُ تؤذيك، ومصاحبَتهُ وبال عليك»[1].

ويصفُ لقمان الحكيم الإنسان الأحمق بقوله:

«مَثلُ الأحمق كالثوب البالي إذا رقّعتَهُ من جانبٍ تخرَّقَ من الجانب الآخر، كالزجاجة لا تُرقَّع ولا تُشْعَب»[2].

إنّ المشكلة الرئيسية مع الأحمق، أنك لا تستطيع أن تتقبل منه ما يفعله لأنه مضرّ، ولا تستطيع أن تعاقبه على ما يفعل لأنه نابع عن نية حسنة.. ولو كان عدواً لعاقبته، ولكن ماذا تفعل مع صديق؟!

يحكى في الأساطير، أن رجلاً صاحب دبّا، وفي أثناء الطريق نعس الرجل ونام، بعد أن طلب من الدبّ أن يحرسه أثناء النوم وفيما كان الدب يحرسه إذ حطّ بعض الذباب على وجه صاحبه، فحمل الدب صخرة كبيرة وضرب بها وجه صاحبه حتى يطرد الذباب وكانت النتيجة أن صاحبه قتل بينما فرّ الذباب. وهكذا فإنه أراد أن ينفعه فأضرّ به.

إن الأحمق هو ذلك الإنسان الذي لا يحسب حساباً لكلامه أو لفعله، وإنما يلقي الكلام على عواهنه، ويتخذ الموقف حسب نيته، ويظن أنه ينفع بذلك ولا يضر.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ١/١٥٥/١٦.

(٢) مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ٢٦٧.

ومن طريف ما يذكر بهذا الصدد، أن رجلاً ادعى أمام زملائه في العمل أنه ثري، وتفاخر عليهم بذلك، فطلبوا منه أن يدعوهم إلى بيته وبالفعل وافق على ذلك.

وحتى لا يكتشف أمره إتفق مع أحد أصدقائه الحمقاء، أن يأتي يوم الوليمة، ويمثل دور الخادم، وعندما يطلب منه صاحب البيت الاتيان بشيء، يسأل:

ـ أي واحد تريد ـ الأبيض أم الأسود؟

فإذا طلب منه كأساً، يسأله:

ـ أي نوع مما تملك من الكؤوس تريد، الأبيض أو الأسود؟

وفي يوم الوليمة، قام الصديق الأحمق بالمهمة خير قيام، وبمجرد إن كان يسأل صاحب البيت عن شيء، كان يجيبه:

ـ أي واحد تريد الأبيض أم الأسود؟.

فاستبشر صاحب البيت بفعله، حتى تغدّى الضيوف وكادوا أن ينصرفوا، وصدفة سأل أحدهم عن والد صاحب البيت ليسلم عليه.

فنادى صاحب البيت صديقه الأحمق، الذي كان يمثل دور الخادم. وقال له:

- إطلب لي والدي ليسلّم عليه الضيوف.

فقال الأحمق: أي واحد منهم تريد: الأبيض أم الأسود؟

فضحك الضيوف، وخجل المضيّف، واكتشفوا الدجل الذي كان عليه صاحبهم.

ومثل هذا هو الأحمق، فهل يستحق المصادقة؟!.



ثانياً ـ مصادقة البخيل

يقول الإمام علي عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَمصَادَقَةَ الْبَخيلْ، فَإِنَّهُ يُبعِّدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُوْنُ إِلَيْهِ»[1]

البخل من أسوأ الصفات، وهو من أسباب دخول النار.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

﴿والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلّى * وما خلق الذكر والأنثى * إن سعيكم لشتّى * فأمّا من أعطى واتقى * وصدق

(١) نهج البلاغة ٤/١١.

بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى * وما يغني عنه ماله إذا تردى * إن علينا للهدى * وإن لنا للآخرة والأولى * فانذرتكم ناراً تلظى * لا يصليها إلا الأشقى * الذي كذب وتولّى * وسيجنبها الأتقى * الذي يؤتى ماله يتزكّى * وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربّه الأعلى * ولسوف يرضى﴾[1].

وقد روي: «أن رسول الله ﷺ ـ كان يطوف بالبيت، فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي!

فقال له رسول الله ﷺ:

ـ «وما ذنبك؟ صفه لي.

قال: هو أعظم من أن أصفه لك.

قال: ويحك! ذنبك أعظم أم الأرضون؟

قال: بل ذنبي يا رسول الله.

قال رسول الله ﷺ: ويحك أذنْبُك أعظم أم الجبال؟

قال: بل ذنبي يا رسول الله.

قال ﷺ: فذنبك أعظم أم البحار؟

---

(١) سورة الليل، آية: ١ ـ ٢١.

قال: بل ذنبي يا رسول الله.

قال ﷺ: ـ فذنبك أعظم أم السماوات؟

قال: بل ذنبي يا رسول الله.

قال: ذنبك أعظم أم العرش؟.

قال: بل ذنبي يا رسول الله!

قال: ذنبك أعظم أم الله؟

قال: بل الله أعظم وأعلى وأجل.

قال: ويحك! فصف لي ذنبك.

قال: يا رسول الله، إني رجل ذو ثروة من المال، وأن السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من النار.

فقال رسول الله ﷺ:

«إليك عني! لا تحرقني بنارك! فوالذي بعثني بالهداية والكرامة، لو قمت بين الركن والمقام، وصليت ألفي ألف عام، وبكيت حتىٰ تجري من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار، ثم مِتّ وأنت لئيم، لأكبك الله في النار! ويحك! إما علمت أن الله يقول: «ومَنْ يَبخَلْ فإنَّما يبخَلُ عن نفسه»[1]. «ومَن يُوقَ شحَّ نفسه فأولئك هُمُ المُفلِحونَ»[2].

---

(١) سورة محمد، آية: ٣٨.

(٢) جامع السعادات ٢/ ١١١ ـ ١١٢.

وقال ﷺ:

«إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح..»[1].

وقال الإمام علي عليه السلام:

«إيَّاكَ والتَّحلِّي بالبُخْلِ فإِنَّهُ يُزْري بك عِندَ القريب ويُمقِّتُكَ إلىٰ النسيبِ»[2].

وروى أن الإمام علي عليه السلام سمع رجلاً يقول: إن الشحيح أعذر من الظالم.

فقال عليه السلام له: ـ كذبت. إنّ الظالم قد يتوب ويستغفر ويردّ الظلامة على أهلها.. والشحيح إذا شح، منع الزكاة، والصدقة، وصلة الرحم وإقراء الضيف والنفقة في سبيل الله عز وجل، وأبواب البر، وحرام على الجنة أن يدخلها الشاح»![3].

ويروي هنا أن رجلاً واسمه ثعلبة بن حاطب كان من الأنصار من صحابة رسول الله ﷺ، الذين زامنوا الرعيل الإسلامي الأول.. وكان فقير الحال وقد جاء إلى رسول الله، وطلب منه أن يدعو له، ليرزقه الله المال الكثير.

فقال له النبي ﷺ:

---

(١) جامع السعادات ٢/ ١١٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ١٦٠/ ٢١.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢/ ٣٥/ ١٤٥.

ـ يا ثعلبة!. قليل تشكر عليه، خير من كثير لا تشكر عليه.

ولكنه أصرّ على النبي وقال له: «لئن رزقني الله مالاً لأعطينّ كل ذي حق حقه!.

فدعى له رسول الله ﷺ، قائلاً: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً».

فاشترى ثعلبة أغناماً، وتزايدت أعدادها. ونمت كما ينمو الدود وضاقت عليه المدينة فتنحّى عنها، فنزل وادياً من أوديتها، فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعات فكان يتلقى الأخبار من المصلين، ويقول: أولم أحضر إلى صلاة الجمعة؟.

وطالت المدة، ولم يأتِ رسول الله، فسأل الرسول عنه: فقالوا له: إن أغنامه أصبحت كثيرة، وله أموال خارج المدينة. فبعث إليه ليأخذ الصدقة فأبى ثعلبة وبخل، وقال: ما هذه إلا أخت!.

فقال رسول الله ﷺ: «يا ويح ثعلبة..»

فأنزل الله تعالى ـ في كتابه قوله:

﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما

أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾[1].

فقام واحد من أصحاب النبي، وقرأ الآيات على رؤوس الأشهاد، وقال: إن هذه الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب.

ووصل الخبر إلى ثعلبة، وفيه وعد ووعيد. فجاء إلى النبيﷺ. ولكن رسول الله رفض أن يستقبله، والقرآن يقول:

﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾[2].

وتوفي الرسول وهو غير راض عنه. ومات الرجل في عهد الخليفة الثالث وهو على حاله!

يقول الإمام الصادقعليه السلام:

«ثلاث إذا كنّ في الرّجل فلا تحرج أن تقول إنه في جهنم: الجفاء، والجبن والبخل»[3].

ويقولعليه السلام:

«خياركم سمحاؤكم، وشراركم بخلاؤكم»[4].

ويقولعليه السلام:

«البخل جامع لمساوىء العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء»[5].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧٥ ـ ٧٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ٧٧.

(٣) الفضيلة الإسلامية ص ١٥٧.

(٤) جامع السعادات ١١٦/٢.

(٥) مشكاة الأنوار ص ٢٣٢.

وقد ورد عنهعليه السلام أنه قال لبعض جلسائه: «ألا أخبرك بشيء تقرب به من الله وتقرب من الجنة وتباعد من النار؟.

فقال: بلىٰ.

فقال: «عليك بالسخاء»[1].

ويقول الإمام الكاظمعليه السلام:

«السخي الحسن الخلق في كنف الله، لا يستخلي الله منه حتىٰ يدخله الجنة. وما بعث الله نبياً ولا وصياً إلا سخياً، ولا كان أحد من الصالحين إلا سخياً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتىٰ مضىٰ»[2].

ويقول رسول اللهصلى الله عليه وآله:

«إن السخيَّ قريب من الله.. قريب من الناس.. قريب من الجنة، بعيد من النار»[3].

ويقولصلى الله عليه وآله: «البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار»[4].

ولقد ورد في الحديث أنه أتى النبيصلى الله عليه وآله وفد من اليمن، وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً وأشدهم في محاجة النبيصلى الله عليه وآله

---

(١) جامع السعادات ٢/١١٦.

(٢) جامع السعادات ٢/١١٦.

(٣) جامع السعادات ٢/١١٣.

(٤) جامع السعادات ٢/١١٠.

فغضب النبي حتىٰ التوىٰ عرق الغضب بين عينيه، وتربد وجهه، وأطرق إلى الأرض، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: ربك يقرئك السلام، ويقول لك: هذا رجل سخي، يُطعم الطعام.

فسكن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغضب، ورفع رأسه، وقال: لولا أن جبرئيل أخبرني عن الله عز وجل أنك سخي تطعم الطعام لشردت بك، وجعلتك حديثاً لمن خلفك!

فقال له الرجل: إن ربك يحب السخاء؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: نعم!

فقال الرجل: إني أشهد ألا إله إلا الله، وإنك رسول الله، والذي بعثك بالحق، لارددت عن مالي أحداً!»[١].

وفي الحديث إن الله تعالى أوحى إلى موسىٰ عليه السلام:

«لا تقتل السامري، فإنه سخي»[٢].

يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «السخي محبب في السماوات ومحبب في الأرضين، خلق من طينة عذبة، وخلق ماء عينيه من ماء الكوثر، والبخيل مبغض في السماوات، مبغض في الأرضين، خلق من طينة سبخة، وخلق ماء عينيه من ماء العوسج»[٣].

---

(١) جامع السعادات ٢/ ١١٥.
(٢) جامع السعادات ٢/ ١١٥.
(٣) جامع السعادات ٢/ ١١٤.

فلماذا إذن نصادق البخيل؟!

هل نصادقه لكي يمسنا الوسخ منه؟!

❀ ❀ ❀

ثالثاً ـ مصادقة الفاجر

يقول الإمام علي عليه السلام:

«إياك ومصادقة الفاجر، فإنه يبيعك بالتافه المحتقر»[1].

المشكلة مع الفاجر مشكلتان: الأولى ـ أنه يضرك في دنياك. والثانية أنه يضرك في آخرتك. ومع الأخذ بعين الاعتبار أن أصدقاؤك في الدنيا هم أصدقاؤك يوم القيامة. فهذا يعني أنك ستكون معه هناك.

ولنتساءل الآن: أين موقع الفجار، في يوم القيامة؟.

يقول تعالى:

﴿إن الأبرار لفي نعيم، وإنّ الفجار لفي جحيم..﴾[2].

وهل يرغب أحد أن يخسر بصداقته للفجار دنياه وعقباه معاً؟

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لا ينبغي للمرء أن يواخي الفاجر، فإنه يزين فعله،

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ١/١٦٨/١٠٧.

(٢) سورة الإنفطار، آية: ١٣ ـ ١٤.

ويحب أن يكون مثله ولا يعينه على أمر دنياه، ولا أمر معاده، ومدخله إليه ومخرجه من عنده شين عليه»[1].

إن خليل الإنسان في الدنيا هو خليله يوم القيامة فانظر أين يكون أخلاؤك غداً..!

لقد سئل رسول الله ﷺ: «أي الأصحاب خير؟

قال ﷺ: صاحبٌ أن ذَكرتَ أعانك، وإن نسيت ذكَّرَك.

قيل: فأي الأصحاب شرّ؟

قال ﷺ: صاحب إن نسيت لم يُذكِّرْك، وإن ذكرت لم يُعْنِكَ»[2].

وسئل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «أيّ صاحب شر؟

قال عليه السلام:

«المزيّن لك معصية الله»[3].

ويعني بذلك الفساق، والفجار وأصحاب المعاصي.

وفي الحقيقة فإن مصادقة الفجار مضرة للأسباب التالية:

الأول ـ إن الفاجر يبعدك عن الأخيار.

(1) حلية المتقين ص ٥٥٧.
(2) التذكرة الحمدونية ٤/ ٣٦٠/ ٩١١.
(3) عين الحياة ٢/ ١٦٤.

يقول رسول الله ﷺ:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يواخَّينَ كافراً، ولا يخالطن فاجراً، ومن آخى كافراً أو خالط فاجراً كان كافراً فاجراً»[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار»[2].

فالشرّير لا بدّ وإن يذم الأخيار، فهو يورث سوء الظن بهم لجلسائه.

الثاني - إن الفاجر سوف يترك بصمات أعماله السيئة عليك.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«لا تصحب الفاجر، فيعلمك من فجوره»[3].

الثالث - إن الفاجر لن يحفظ لك حرمة.

ذلك إن الفاجر كما لا يرى لله تعالى حرمة، فهو لن يرَىٰ لك الحرمة أيضاً.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

---

(١) صفات الشيعة ص ٦.

(٢) عين الحياة ٢/ ١٦٤.

(٣) الخصال ١٦٩/ح ٢٢٢، تحف العقول ص ٢٧٨.

«خمس من خمسة محال: النصيحة من الحاسد محال.. والشفقة من العدو محال.. والحرمة من الفاسق محال.. والوفاء من المرأة محال.. والهيبة من الفقير محال»[1].

ولأنّ الحرمة من الفاسق محال فقد جاءت الأحاديث تترى وهي تحذر من مصادقة الفاسقين.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«كان أبي يقول: قم بالحق واعتزل ما لا يعنيك، وتجنب عدوك واحذر صديقك من الأقوام إلا الأمين الذي يخشى الله، ولا تصحب الفاجر، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله»[2].

ويقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

«إياك ومصاحبة الفاسق، فإنه بايِعُكَ بأكلة، أو أقل من ذلك»[3].

ويقول الإمام علي عليه السلام: «إياكَ ومُصاحَبَةَ الأَشرارِ فإنَّهُمْ يَمنُّونَ عليكَ بالسَّلامةِ مِنهُمْ»[4].

ويقول عليه السلام: «إِياكَ ومُعَاشَرةَ الأَشرارِ فإِنَّهُمْ كالنَّارِ

---

(١) الخصال ٢٦٩/ ح٥.

(٢) تحف العقول ص ٥١٣.

(٣) حلية المتقين ص ٥٥٦، عين الحياة ٢/ ١٦٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ١/ ١٦٠/ ١٩.

مُباشرتُها تُحرِقُ»[1].

ويقول الإمام محمد التقي عليه السلام:

«إياك ومصاحبة الشرير، فإنه كالسيف المسلول، يحسن منظره ويقبح أثره».

إن منظر الشرير قد يكون جميلاً ولماعاً كما هو إلا مرجع السيف، ولكن واقعه قبيح لأنه يفري اللحم ويكسر العظم..

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«لا ينبغي للمسلم أن يواخي، الفاجر ولا الأحمق ولا الكذاب»[2].

الرابع - إنَّ من الممكن أن تنزل نقمة الله عليه فتشملك.

فقد روي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال لرجل من أصحابه:

- ما لي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب؟

فقال الرجل: إنه خالي.

فقال الإمام عليه السلام:

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ١/١٦٠/١١.
(٢) حلية المتقين ص ٥٥٦.

«إنه يقول في الله قولاً عظيماً، يصف الله ولا يوصف.. فإما جلست معه وتركتنا، وإما جلست معنا وتركته.

فقال الرجل: هو يقول ما شاء، أي شيء عليَّ منه إذا لم أقل بقوله؟

فقال الإمام عليه السلام:

«أما تخاف أن تنزل نقمة فتصيبكم جميعاً؟ أما علمت بالذي كان من أصحاب موسىٰ عليه السلام وكان أبوه من أصحاب فرعون فلما لحقت خيل فرعون موسىٰ تخلف عنهم ليعظ أباه فيلحقه بموسىٰ، فمضىٰ أبوه وهو يراغمه حتىٰ بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً، وأتي موسىٰ الخبر فقال: هو في رحمة الله ولكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمن قارب المذنب دفاع[1].



رابعاً ـ مصادقة الكذاب

يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام لبعض بنيه:

«يا بني.. أنظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق.

---

(١) المحجة البيضاء ٣/ ٣١٣.

فقال: يا أبة من هم؟

فقال عليه السلام: إياكَ ومصاحبة الكذاب، فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب، وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه بايعك بأكلة أو أقل من ذلك، وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصاحبة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه. فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله[1].

وقديماً قيل: ليس لكذوب صديق.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنَّ الكذاب يهلك بالبينات، ويهلك أتباعه بالشبهات»[2].

ويكفي فيما يتعلق بالكذّاب أن ننقل هذه الأحاديث الشريفة.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «رأيت كأن رجلاً جاءني، فقال لي: قم، فقمت معه، فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس، وبيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس، فيجذبه حتىٰ يبلغ كاهله، ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده، فإذا مده رجع الآخر كما كان، فقلت للذي أقامني: ما هذا؟ فقال: ـ رجل كذاب، يعذب في قبره إلى يوم

---

(١) تحف العقول ص ٢٠٢.

(٢) الكافي ٢/٢٣٩/٧.

القيامة»[1].

وسُئِلَ ﷺ: «يكون المؤمن جباناً؟

قال: نعم!

قيل: ويكون بخيلاً؟

قال: نعم!

قيل: ويكون كذاباً؟

قال: لا!»[2].

يقول الإمام علي عليه السلام:

«ليس لكذوب أمانة، ولا لفجور صيانة»[3].

ويقول عليه السلام في حديث آخر:

«لا خير في الكذّابين، ولا في العلماء الأفّاكين»[4].

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إن الله عز وجل جعل للشر إقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شرٌّ من الشراب»[5].

---

(١) جامع السعادات ٢/ ٣٢٢.

(٢) جامع السعادات ٢/ ٣٢٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ٣٦٧/ ٤٤٥.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/ ١٣٥.

(٥) الكافي ٢/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩/ ٣، جامع السعادات ٢/ ٣٢٣.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله:

«إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار»(١).

ويقول ﷺ: «إن للشيطان كحْلاً ولعوقاً ونشوقاً، فإما لعوقه الكذب، وإما نشوقه فالغضب، وإما كحله فالنوم»(٢).

وقال الإمام العسكري عليه السلام:

«جُعِلتْ الخبائث كلها في بيت وجعل مفتاحه الكذب»(٣).

ويقول الإمام علي عليه السلام: «أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذب، وشر الندامة ندامة يوم القيامة»(٤).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«كان أمير المؤمنين عليه السلام: إذا صعد المنبر قال: ينبغي للمسلم أن يتجنب مواخاة ثلاثة:

«الفاجر، والأحمق، والكذاب.

«فأما الفاجر فيزين لك فعله، ويحب أنك مثله، ولا

---

(١) جامع السعادات ٢/ ٣٢٢.
(٢) جامع السعادات ٢/ ٣٢٣.
(٣) جامع الأخبار للسبزواري ٤١٨/ح ١١٦٢، جامع السعادات ٢/ ٣٢٣.
(٤) جامع السعادات ٢/ ٣٢٣.

يعينك على أمر دينك ومعادك، فمقارنته جفاء وقسوة، ومدخله عار عليك.

«وأما الأحمق فإنّه لا يشير عليك بخير ولا يرجه لصرف السوء عنك ولو جهد نفسه، وربما أراد نفعك فضرك، فموته خير من حياته، وسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه.

«وأما الكذاب فإنه لا يهنأك معه عيش، ينقل حديثك، وينقل إليك الحديث، كلما أفنى أحدوثة مطاها بأخرى مثلها حتىٰ أنه يُحدِّث بالصدق فلا يُصدق، يعزي بين الناس بالعداوة فيثبت الشحناء في الصدور. فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم»[1].

ويقول الإمام أبو جعفر عليه السلام:

«لا تقارن ولا توافي أربعة: الأحمق والبخيل والجبان والكذاب، أما الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وأما البخيل إنه يأخذ منك ولا يعطيك، وأما الجبان فإنه يهرب عنك وعن والديه، وأما الكذاب فإنه يُصدِّق ولا يُصدَّقُ»[2].

ويقول لقمان الحكيم لابنه: ليس بين الذئب والكبش خلّة، كذلك ليس بين البار والفاجر خلة، يقرب من الرفت يعلق به بعضه، كذلك من يشارك الفاجر يتعلم من طرقه، ومن

(١) تحف العقول ص ١٤٥، التذكرة الحمدونية ٤/ ٣٦١/ ٩١٨، الكافي ٢/ ٦٣٩ ـ ٦٤٠/ ١.

(٢) الخصال ١/ ٢٤٤/ ١٠٠.

يحب المراء يُشَتمْ، ومن يدخل مدخل السوء يُتّهم، ومن يقارن قرين السوء لا يسلم[1].

(١) حلية المتقين ص ٥٥٧، وسائل الشيعة ٨/٤١٨/ ٢.

الفهرست

المقدمة ـ هذا الكتاب ٧

ليكن لك أصدقاء: ٩

١ ـ الصديق قبل الطريق ١١

٢ ـ الصداقة صناعة وفن ١٢

٣ ـ الصداقة تغذي الأخلاق وتستثمر المبادىء ١٤

٤ ـ الصداقة قضية مستعجلة ٢٠

أحسن اختيار الأصدقاء ٢٩

امتحن أصدقائك: ٦٣

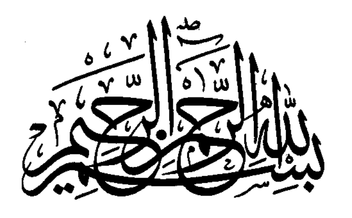
أولاً ـ الامتحان الروحي ٧٥

ثانياً ـ الامتحان عند الحاجة ٧٧

ثالثاً ـ امتحانه في حب التقرب إليك ٨٣

رابعاً ـ الامتحان في الشدائد ٨٤

خامساً ـ الامتحان في حالة الغضب ٨٨
سادساً ـ الامتحان في السفر ٩٠
اختر الأفضل دائماً ٩٣
أولاً ـ العلماء ٩٧
ثانياً ـ الحكماء ١٠١
ثالثاً ـ العقلاء ١٠٣
رابعاً ـ الزهاد ١٠٤
خامساً ـ أصحاب الفضيلة ١٠٩
سادساً ـ أصحاب الوفاء ١١٠
سابعاً: أصحاب الأخلاق الكريمة ١١٣
تجنب أصدقاء السوء: ١١٩
أولاً ـ مصادقة الأحمق ١٣٠
ثانياً ـ مصادقة البخيل ١٣٦
ثالثاً ـ مصادقة الفاجر ١٤٤
رابعاً ـ مصادقة الكذاب ١٤٩
الفهرست ١٥٥


بسم الله الرحمن الرحيم